بديع الزمان سعيد النورسي
ملامح صورة وسيرة

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

المملكة الاردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٢/٩/٣٤٥٢)

٩٢٢,١
جرار، مأمون فريز
بديع الزمان سعيد النورسي ملامح صورة وسيرة- مأمون فريز جرار_ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٣.
(١٢٠) ص
ر.أ: (٣٤٥٢ /٩ / ٢٠١٢).
الواصفات: /التراجم//السيرة الذاتية//المسلمون

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E- mail: daralmamoun@maktoob.com

بديع الزمان سعيد النورسي

ملامح صورة وسيرة

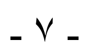
د. مأمون فريز جرار



دار المأمون للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس



مُقَدِّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فأحمد الله تعالى أن يسّر لي جمع مادة هذا الكتاب بعد أن نشرت في جريدة الدستور في العامين ٢٠٠٦/٢٠٠٧م في زاوية بصائر في صفحة الفكر الإسلامي التي تصدر كل يوم جمعة . وقد أجريت بعض التعديلات على ما ورد في تلك المقالات جريا على عادة المؤلفين بتعديل ما يكتبونه بعد حين من كتابته طمعا في أن تكون الكتابة الجديدة أجود من السابقة.

ولعل هذا الكتاب يسهم في التعريف بالإمام المجدد الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله وبرسائل النور.

وقد كان كتاب ((سيرة ذاتية)) الذي هو الجزء التاسع من رسائل النور، عمدتي في استقاء المادة، واختيار ما رأيت أن أعرضه على الناس من سيرة الأستاذ النورسي رحمه الله، وقد صغت المادة المنتقاة بأسلوبي. ولا يغني ما كتبته عما ورد في سيرة ذاتية بل أرجو أن يغري بقراءتها .

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب، ويجعله في ميزان حسناتي، علماً ينتفع به الناس، ويدعون لي بالخير في ظهر الغيب.

والله المستعان على كل خير
شوال ١٤٣٣هـ / أيلول ٢٠١٢
مأمون فريز جرار

بديع الزمان سعيد النورسي والدور التاريخي

الذين يصـــــــنعون التاريخ هم غير العاديين من الناس، هم المختلفون عن غيرهم في طريقـة التفكير، وفي منهج الحيـاة، وفي النظر إلى الأشياء.

وقد يُدفع هؤلاء الصانعون للتاريخ إلى الطريق المختلف دفعاً ممن حولهم، أو تسـوقهم الأقدار إلى الدور الذي يناسـب قدراتهم ليحققوا رسالتهم في الحياة، ويكون لهم في مسيرة البشرية موقف مشهود، ودور مرصود.

خطر لي هذا الخاطر وأنا أقلب صفحات حياة رجل كان له أثر عظيم في تركيا الحديثة، وكان إماما أفاء الله تعالى عليه من العلم أثر كبير في صدّ العلمانية المادية الجارفة التي سعت إلى اجتثاث الدين من جذور القلوب، وتغيير الظاهر والباطن ليكون على المنهج الأوروبي.

لقد حدث الانقلاب الذي قطع ماضـــــــــي تركيا عن حاضرها، فتغيرت حروف الكتابة من العربية إلى اللاتينية، هذا التغيير أغلق أمام الأتراك بوابة التاريخ العثماني كله إلا إذا ترجم إلى لغتهم الحديثة المكتوبة باللاتينية .وتغيرت الأشـكال، فحرم كل زي ذي علاقة بالإسـلام، وشـرعت القوانين التي تلاحق من يفعلون ذلك (الجرم) الذي يشـير إلى ارتباطهم بالدين خارج حدود

المساجد . بل إن الأذان الذي يصدح به المؤذنون في جنبات الأرض بالعربية صار يُرطن به بالتركية مترجماً!!.

في خضم هذه العاصفة الجارفة ظهر نجم مشرق يبدد بنوره ظلمة الليل الحالك، بل كان ظهوره قبل ذلك بعقود، فكان جهاده من أجل تغيير الواقع الإسلامي تعليماً ودعوة وحياة، ولم يكتب لآرائه أن تجد طريقها إلى الواقع في عهد الدولة العثمانية، ودخلت تلك الدولة التاريخ بعد إلغاء السلطنة والخلافة العثمانية، وجاء عهد المادية الطاغية، فكانت رسائل النور التي فتح الله تعالى بها على الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي أنواراً تبدد ظلمات المادية، وقوارب نجاة في بحرها الهائج.

لقد عاش بديع الزمان سعيد النورسي ، بعد أن وقف في وجه المادية الطاغية ،حياة قاسية بالمقياس المادي، فلم يتبوأ موقعاً رسمياً في الدولة، وكان ذلك متاحاً له، ولم يعش في أمن في بلده، بل كان يُنفى من مكان إلى آخر، ولم يقض في مكان أكثر من عقد من السنوات بل دون ذلك ، وكان ينتقل من محاكمة إلى نفي، ومع ذلك كان يعيش حياة مطمئنة يتدبر فيها كتاب الله، ويتأمل الطبيعة وما فيها من تجليات آيات الله ، وكانت ثمرة تلك الحياة "رسائل النور" التي هي خلاصة حياته وفكره ..

لمحات من حياة سعيد النورسي

١٨٧٦ - ١٩٦٠

لقد أتيح لي منذ سـنوات أن أتصـل بطلبة النور، أو لنقل تلاميذ رسـائل النور التي ألفها الأسـتاذ بديع الزمان سـعيد النورسـي. ووقعت بين يدي بعض تلك الرسـائل، لكن صـلتي بها ومعرفتي بالأستاذ سعيد النورسي كانت محدودة. وقد أتيح لي في الصيف الماضي (عام ٢٠٠٥) حضور ندوة في مكتب رابطة الأدب الإسـلامي في القاهرة حول الأسـتاذ سـعيد النورسـي، ودار فيها حوار بيني وبين الأسـتاذ إحسـان قاسـم الصـالحي مترجم رسـائل النور إلى العربية، وطلب مني الاطلاع على تلك الرسائل والكتابة حولها. وقد يسر الله تعالى لي أن أقدم قراءات من هذه الرسائل في إذاعة حياة أف أم، وها أنا أقدم للقراء الكرام في جريدة الدستور مقالات حول رسـائل النور وكاتبها رحمه الله، عسـى أن يكون فيها شيء من النفع بإذن الله.(كتبت المقالات بين شهر ٢٠٠٦/١١ حتى ٢٠٠٧/٨/٣)

لقد كتب حول الأسـتاذ سـعيد النورسـي وحياته وفكره كثير من الدراسات ولعل أوسع مرجع عن حياته هو الجزء التاسع من كليات رسـائل النور الذي عنوانه «سـيرة ذاتية» الذي أسـتمد منه مادة المقالات التي كونت هذا الكتاب .

وإذا وقفنا على هويته الشخصية فنقول: إنه سعيد بن ميرزا النورسي، ولقبه بديع الزمان، ونسبته إلى قرية نورس «بتسكين الراء» وهي قرية تابعة لناحية إسباريت بقضاء خيزان من أعمال ولاية بتليس في شرقي الأناضول.

كان والده ورعا يضرب به المثل، يحرص على الحلال في الطعام، حتى روي أنه كان إذا عاد بمواشيه من المرعى شد أفواهها لئلا تأكل من المزارع التي تمر بها. وأن أمه امرأة صالحة، سئلت عن طريقة تربيتها لأولادها فأجابت أنها لم تترك التهجد طوال حياتها إلا في أيام العذر الشرعي ولم ترضع أولادها إلا وهي على طهر ووضوء.

لقد تجلت صفات مميزة لبديع الزمان منذ طفولته، من ذكاء حاد، وعزة نفس، فلم يكن يسأل أحدا شيئا أو يقبل ،وهو طالب علم، شيئا من الزكاة أو الصدقة التي كانت تعطى لطلبة العلم.

وقد تلقى في طفولته بشارة نبوية في رؤيا رآها:

رأى أن القيامة قد قامت، والكائنات بعثت من جديد، ففكر كيف يتمكن من زيارة الرسول ﷺ ، وتذكر أن الرسول ﷺ يقف على بداية الصراط الذي يمر عليه الخلق، فتوجه إليه ، ومر به عند الصراط الأنبياء والرسل الكرام

فسلم عليهم واحداً واحدا وقبل أيديهم، ورأى النبي محمدا ﷺ فقبل يده، وطلب منه العلم، فبشره الرسول ﷺ أنه سيوهب علم القرآن ما لم يسأل أحدا شيئا.

كان في أعماق سعيد النورسي دافع باطني يحركه من مكان إلى آخر للقاء الشيوخ وتلقي العلم، فلم يستقر في قرية أو ناحية بلدة، بل تجول في مدن مختلفة منذ صباه.

وكان ذا ذاكرة حافظة يحفظ ما يقرأه من مرة واحدة حتى حفظ عشرات الكتب من الأمهات التي جاوزت التسعين كتابا.

وقد رآه أحد شيوخه أهلا للبس زي العلماء وهو في الرابعة عشرة من عمره. كما تجلى علمه في مناظراته للعلماء الكبار ، على صغر سنه ، وتفوقه عليهم في مسائل دقيقة مما جرّ عليه الحسد وسبب الكيد له حتى من زملائه في طلب العلم.

وكان يجد في نفسه دافعا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مقتبل عمره ، ومن ذلك أنه تحدى احد زعماء العشائر «مصطفى باشا» وأمره بالاستقامة وترك الظلم والانحراف.

وقد تولد لديه وعي مبكر بضرورة تطوير الحياة في الدولة العثمانية، ونشر العلم، وقيام الدولة على أساس الشورى لا الاستبداد مما سبب له المتاعب.

سعيد النورسي والوعي المتميز

كثير من النـاس، بـل من أهـل العلم من يعيش على هـامش الحياة، أو يعيش لنفســـــه، همه ذاته والحصـــــول على منزلة في الدنيا، وجمع شـــــيء من متاعها. وذلك ما لم يكن من أهداف الأســتاذ ســعيد النورســي الذي أحس في أعماق نفســه بأن له في الحياة دوراً يُدفع إليه.

وها هو يجد خلافاً بين العشـائر الكردية في بلاده فيسـعى إلى الإصـــلاح وإزالة أســباب الخلاف، وها هو يتنبه إلى نقص في الحياة العلمية الإسـلامية بترك العلوم الحديثة، والاكتفاء بالعلوم الدينية. وقد اقتنع منذ وقت مبكر في حياته أن أســـــلوب علم الكلام القديم قاصر عن رد الشبهات والشكوك التي تثار حول الدين في عصـــره، وأن من المهم الوقوف على العلوم الحديثة التي تكون بوابة من بوابات الإيمان.

فأخذ يطالع كتب العلوم الحديثة، من جغرافية ورياضيات وجيولوجيا وفيزياء، وكيمياء وفلك، بالإضـــــــافة إلى التاريخ والفلسـفة، ومكنه ذلك من محاورة المتخصـصـين في هذه العلوم والتفوق عليهم.

و كان تفوقه وذكاؤه ونبوغه سبباً في أن يطلق عليه بعض علماء عصـــــره لقب بديع الزمان، وقد عرف به، وهو يعلل هذا اللقب بالتعليل التالي في تواضع ونكران للذات :

" إن هذا الفقير الغريب النورسي الذي يستحق أن يطلق عليه اسم: بدعة الزمان، إلا أنه أشتهر - دون رضاه – ب(بديع الزمان) فهذا المســكين يســتغيث ألما من حرقة فؤاده على تدني الأمة، ويقول: آه... آه، واأســفي، لقد انخدعنا فتركنا جوهر الإســلام ولبابه، وحصرنا النظر في قشره وظاهره ."

ومما قاله: «إن لقب بديع الزمان الذي مُنحته مع عدم استحقاقي له ليس لي، وإنما هو اسم معنوي لرسائل النور، قد قُلدها مؤلفها الظاهر إعارة وأمانة، والآن أعيد ذلك الاسم الأمانة إلى صاحبه الحقيقي».

لقد وقع في حياة بديع الزمان انقلاب فكري حوالي ســـنة ١٨٩٩م حين وصـــــله قول وزير المســـــتعمرات البريطاني وليم جلادســـتون الذي أمســك بنســخة من القرآن الكريم في مجلس العموم البريطاني وقال: «ما دام هذا القرآن بيد المســــلمين فلن نحكمهم حكماً حقيقياً ، فلنسع إلى نزعه منهم».

كان هذا الموقف، وهذا القول ســــبباً في تغير حياة بديع الزمان، فجعل جميع العلوم المختزنة في ذهنه مدارج للوصــول إلى

إدراك معاني القرآن الكريم وإثبات حقائقه، وأعلن: " لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها."

وصار سعيد النورسي خادماً للقرآن الكريم، وقد لخص ذلك في أخر محاكمة تعرض لها في حديثه مع القاضي:

"إنني لست أهلاً لكلمات الثناء التي أضفاها علي موكلي المحترمون، إذ إنني لست سوى خادم عاجز للقرآن وللإيمان ".

النورسي والأمل في المستقبل

الداعية الناجح هو الذي يضيء الشمعة في عتمة الظلمات. وهو الذي يرى نور الإيمان ينبثق من قلوب من وقفوا معادين معاندين، أو من قلوب ذرياتهم، وذلك ما كان من رسولنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام حين جاءه ملك الجبال وعرض عليه أن يطبق الأخشبين ((الجبلين)) على أهل مكة فكان من جوابه أنه يرجو أن يخرج الله تعالى من أصلابهم من يؤمن بالله تعالى.

هذه الرؤية النبوية الثاقبة ينبغي أن تكون منظار الدعاة حين تشتد من حولهم الهجمات على دين الله، فهم جنود رسالة ربانية، وحملة نور إلهي، يسعون إلى أن يملأ العقول والقلوب، وأن تنبثق أشعته في دروب الحياة.

وهذا ما نجده لدى بديع الزمان سعيد النورسي الذي لقي في حياته الأهوال من المحاكمات الظالمة، والسجن والنفي والحصار، ومع ذلك كله لم تنطفئ شعلة الأمل في قلبه، لأن الأمل قرين الإيمان.

ها هو يعود من إستانبول عام ١٩١٠ إلى بلده أو إلى شرقي الأناضول، فيقطع رحلة طويلة نحوها، ويمر شمالاً بمدينة تفليس في أرمينيا، وكان فيها في ذلك الوقت جنود روس ودار حوار بينه

وبين أحد الجنود وقد رآه على تل اسمه تل الشـــيخ صــنعان، وهو ينظر إلى الآفاق ويتأمل.

- فقال له الجندي الروسي، بم تُنعم النظر ؟
- قال: أخطط لمدرستي!
- قال: من أين أنت ؟
- قال: من بتليس ((وهي المدينة التي تتبعها قريته نورس)) .
- قال: ماذا تعني ؟
- فأجاب بديع الزمان النورســـي جواب من ينظر بنور الحق إلى الغيب الآتي، وســلاحه الأمل، والثقة في مســتقبل الإســلام والمسلمين.
- قال: لقد بدأ ظهور ثلاثة أنوار متتابعة في آســـيا ، في العالم الإســـلامي، وســتظهر عندكم ثلاث ظلمات بعضــها فوق بعض، ســيمزق هذا الســتار المســتبد ويتقلص، وعندها آتي إلى هنا أنشئ مدرستي!!.
- كان كلام بديع الزمان النورســـي مثار ســـخرية الجندي الروسي.
- فقال: هيهات! إنني أحار من فرط أملك.

- فأجابه الأستاذ النورسي جواب الواثق: وأنا أحار من عقلك، أيمكن أن تتوقع دوام هذا الشتاء ؟ إن لكل شتاء ربيعاً، ولكل ليل نهاراً.

كان المسلمون في هذا الوقت في حال ضياع وتمزق، ولذلك قال الجندي الروسي: لقد تفرق المسلمون شذر مذر!! فأجابه الأستاذ النورسي وهو يستحضر واقع المسلمين، ويخترق الواقع بنور الإيمان والأمل:

ذهبوا لكسب العلم. فها هو الهندي الذي هو ابن الإسلام الذكي يتلقى الدرس في المدرسة الإدارية السياسية للإنجليز.

وها هو القفقاسي والتركستاني اللذان هما ابنا الإسلام الشجاعان يتدربان في المدرسة الحربية للروس.

فيا هذا، إن هؤلاء الأبناء البررة النبلاء، بعدما ينالون شهاداتهم سيتولى كل منهم قارة من القارات، ويرفعون لواء أبيهم العادل، الإسلام العظيم، خفاقاً ليرفرف في آفاق الكمالات، معلنين سر الحكمة الأزلية المقدرة في بني البشر رغم كل شيء.

هكذا كانت نظرة الأستاذ النورسي في أشد لحظات الضعف والقسوة في مطلع القرن العشرين، والدولة العثمانية تتداعى، تنخرها الخلافات الداخلية، والثورات القومية، والكيد الاستعماري لقتل الرجل المريض.

والذي ينظر في واقع المســـــلمين بعد قرن من هذا الكلام يجد عمق نظرة الرجل، ومع اســـــــتمرار الكيد لهذه الأمة في عصـرنا فإن فيها من عناصـر القوة ما يجعلنا نسـتمد منه النظرة المتفائلة في تحقق ما توقعه بإذن الله.

واستمع إلى هذه الكلمات الرائعة له وهو يخاطب المسلمين القادمين من رحم الغيب :

"ارفعوا هاماتكم وقولوا: لقد صدقت، وليكن هذا التصديق ديناً في أعناقكم.

إن معاصري هؤلاء وإن كانوا لا يعيرون سمعاً لأقوالي، لندعهم وشأنهم، إنني أتكلم معكم عبر أمواج الأثير الممتدة من الوديان السحيقة للماضي المسمى بالتاريخ إلى ذرى مستقبلكم الرفيع.

ما حيلتي ؟ لقد استعجلت وشاءت الأقدار أن آتي إلى خضم الحياة في شتائها ، أما أنتم فطوبى لكم ستأتون إليها في ربيع زاهر كالجنة ، إن ما يزرع الآن ويستنبت من بذور النور ستتفتح أزاهير يانعة في أرضكم. نحن ننتظر منكم لقاء خدماتنا ، إنكم إذا جئتم لتعبروا إلى سفوح الماضي عوجوا على قبورنا واغرسوا بعض هدايا ذلك الربيع على قمة القلعة".

النورسي والرؤية الإيمانية

من أهم ما ينبغي أن يتحلى به الداعية أن يكون ذا نظرة واسعة وعميقة. واسعة سعة الكون، وعميقة عمق عالم الغيب، وأن يتسع قلبه لكل من آمن بالله ورسوله، وألا يقع فريسة للنظرة الضيقة التي تجعل المسلمين من أهل القبلة شيعا وأحزابا.

وقد أعجبتني كلمات وأنا اقرأ سيرة بديع الزمان سعيد النورسي أتمنى أن يضعها الدعاة إلى الله نصب أعينهم، وأن يجعلوها مرآة بل منظارا لنظرتهم.

تأسست عام ١٩٠٩م جمعية في إستانبول تحت عنوان «جمعية الاتحاد المحمدي»، وها هو بديع الزمان يحدثنا عن هواجسه تجاهها: قال:

«طرق سمعي أن جمعية باسم الاتحاد المحمدي قد تأسست فتوجست خيفة شديدة من صدور حركات خاطئة من بعضهم تحت هذا الاسم المبارك».

وينتقد الأستاذ بديع الزمان بعض أهل زمانه الذين حولوا هذا الاسم إلى «شيء بسيط ويسير إذ حصروه في العبادة واتباع سنن مطهرة، فقطعوا علاقتهم بتلك الجمعية السياسية، فلا

يتدخلون بعد في السياسة، فخشيت مرة أخرى حيث قلت: إن هذا الاسم هو حق المسلمين كافة، فلا يقبل تخصصا ولا تحديدا».

وقرر الأستاذ النورسي أن ينتسب إلى جمعية الاتحاد المحمدي، لكنه يعطينا لهذه الجمعية مفهوما رائعا أتمنى أن تتبناه الحركات الإسلامية.

قال رحمه الله:

"ولكن الاتحاد المحمدي الذي أعرفه وانضممت إليه هو الدائرة المرتبطة بسلسلة نورانية ممتدة من الشرق إلى الغرب، ومن الجنوب إلى الشمال.

فالذين ينضوون تحت رايته يتجاوز عددهم عن الثلاثمائة مليون في هذا العصر «وهو عدد المسلمين حين كتب كلامه».

- وإن جهة الوحدة والارتباط في هذا الاتحاد هو توحيد الله.
- قسمه وعهده هو الإيمان.
- والمنتسبون إليه جميع المؤمنين منذ الخليقة.
- وسجل أعضائه هو اللوح المحفوظ.
- وناشر أفكاره جميع الكتب الإسلامية، والصحف اليومية التي تستهدف إعلاء كلمة الله، ومحال

اجتماعاته ونواديه هي الجوامع والمســـــــاجد والتكايا والمدارس الدينية.

- ومركزه الحرمان الشريفان."

ويمضـي رحمه الله يقدم تصوره لنظام هذه الجمعية فيقول: "فجمعية مثل هذه:

رئيسها هو فخر العالمين، سيدنا الرسول الكريم ﷺ ،

ومســـلكها ومنهجها: مجاهدة كل شـــخص نفســـه، أي التخلق بأخلاق الرسول الكريم ﷺ، وإحياء السنة النبوية ومحبة الآخرين، وإسداء النصح لهم، ما لم ينشأ منه ضرر.

والنظام الداخلي لهذا الاتحاد: السنة النبوية.

وقانونه: «الأوامر الشرعية ونواهيها.

وســـيوفه: البراهين القاطعة، حيث إن الظهور على المدنيين المثقفين إنما هو بالإقناع وليس بالضـــــــغط والإجبار، وإن تحري الحقيقة لا يكون إلا بالمحبة، بينما الخصـــــــــومة تكون إزاء الوحشية والتعصب.

أما أهدافهم ومقاصدهم فهي إعلاء كلمة الله".

إن تصورا لرابطة أو جمعية أو جماعة بهذا الإشراق، وبهذه السـعة، يجعل أنصـارها والمنتسـبين إليها أخوة متحابين تجمع المسلمين كلهم، فتكون لهم طليعة، ولا تتحول إلى طائفة، فهي كالقطار الذي يقود «المقطورات» ولا ينفصل عنها.

ذلك تصـوره رحمه الله لما ينبغي أن تكون عليه العلاقات بين المسلمين، وعسى أن يكون لكلماته صدى لدى الدعاة الذين يتعصـب بعضـهم لرأيه، ويعادي إخوانه في الدعوة، بل إنك لتجد من بعض الدعاة إسـفافا في الحوار، وتدنيا في أسـلوب الخطاب تعجب أن يصدر عن دعاة وطلبة علم يقولون إنهم على منهج سلف هذه الأمة.

وإذا كانت الأمة المسـلمة مأمورة بجدال أهل الكتاب بالتي هي أحسـن فهل يصـح أن يجادل بعضـها بعضـا بالتي هي أسوأ؟.

سعيد النورسي مجاهدا

كان الأستاذ النورسي قريبا من سن الأربعين حين قامت الحرب العالمية الأولى، ودخلتها الدولة العثمانية متحالفة مع ألمانيا. وقد كان من آثارها هجوم روسيا على شرقي الدولة العثمانية واحتلال شرقي الأناضول في الشهر العاشر سنة ١٩١٤م.

وكان الأستاذ سعيد النورسي قد انخرط في الجيش العثماني واعظاً سنة ١٩١٤م. وشارك في الجهاد، وتم دفع الروس في الشهر الأول سنة ١٩١٥م بعد أن استشهد ستون ألف جندي عثماني، وعاد الروس لاحتلال المنطقة مرة أخرى في الشهر الأول من عام ١٩١٦م.

وحين نقف على جهاد الأستاذ سعيد النورسي نجد قوة إيمانه، وقلة مبالاته بمخاطر الحرب. فقد كان يرافقه في الجهاد تلميذه الملاّ حبيب، ومن المواقف التي يذكرها أن الروس كانوا يمطرونهم بالقذائف: قذيفتين أو ثلاثا كل دقيقة. وكانت بعض القذائف تمر من فوق رأسيهما. وتراجع الجنود ونزلوا الخنادق، فقال النورسي لتلميذه ممتحنا لشجاعته: ما تقول يا ملا حبيب؟ أنا لن أختبئ من قنابل هؤلاء الكفار؟.

فكان جواب تلميذه: وأنا كذلك لن أتخلف عنك ولن أفارقك.

ووقفت قذيفة بالقرب منهما فقال: هيا نتقدم إلى الأمام، إن قذائف الكفار لا تقتلنا، نحن لن نتدنى إلى الفرار أو التخلف.

وقد مر الأستاذ النورسي بتجربة زادت يقينه، وزادت شجاعته. ففي معركة (بتليس) أصابت ملابسه ثلاث طلقات في مواضع قاتلة لكنها لم تصب الجسد ومرت من الثياب.

وكان الأستاذ النورسي قد شكل من تلاميذه فرقة للأنصار المتطوعين، وقاتلوا في جبهة القفقاس، وأسهم في الدفاع عن مدينة وان وإنقاذ أهلها النازحين عنها في وجه التقدم الروسي في المرة الثانية سنة ١٩١٦م. ولم ينس الأستاذ النورسي العلم وهو في جبهة القتال، فقد ألف في هذه المرحلة كتاب: «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز» وهو تفسير يتناول إعجاز النظم في القرآن الكريم، (في سورة الفاتحة والآيات الثلاث والثلاثين من سورة البقرة) وكان يمليه في الجبهة على تلميذه الملاّ حبيب.

ومما يرويه الأستاذ النورسي في سيرته ؛ ذلك المنهج المتسامح الذي اتبعه في مواجهة فرق الأرمن التي كانت تقتل أطفال المسلمين. وقد وقع تحت سيطرته آلاف من أطفال الأرمن، ورأى أن عدالة الإسلام تمنع من قتلهم، فأطلق سراحهم، وردهم إلى عوائلهم خلف الحدود الروسية. وكان من أثر هذا التسامح أن كفّ الأرمن عن قتل الأطفال المسلمين من باب المعاملة بالمثل.

وقد دافع الأستاذ سعيد النورسي ومن معه عن بتليس، ولكن كانت القوة الروسية كبيرة، فانسحب الوالي وقائد الجيش وأهل بتليس منها، وظل هو مع عدد من المتطوعين لإنقاذ من عجزوا عن الهجرة، ولكنهم وقعوا في مواجهة جنود الروس، ودارت معركة استشهد فيها عدد كبير ممن معه، ولم ينج إلا هو وأربعة من طلابه اخترقوا صفوف العدو. وأصيب بجراح إثر وقوع عدة قنابل حوله، فجرحت يده، وانكسرت ساقه، وبقي في الماء والطين أربعا وثلاثين ساعة منتظرا الموت ومحاصرا من الجنود الروس .

سعيد النورسي أسيراً

حين وجد الأستاذ سعيد النورسي نفسه مصاباً، والجند الروس من حوله، طلب ممن معه من تلاميذه أن ينسحبوا، وقال: "اتركوني وشأني، فإني لا أسامحكم، اسعوا لإنقاذ أنفسكم."

ولم يتخل عنه أصحابه الذين كانوا معه، وقالوا: لنستشهد ونحن في خدمتك. وظلوا معه حتى وقعوا في أسر الروس، في ظروف طبيعية صعبة جداً، من برد شديد، وثلج كثيف، وكان الأمر في الشهر ا لثالث سنة ١٩١٦م ليلة سقوط بتليس.

وفي الأسر كان مجموعة من الضباط العثمانيين، وكانوا جميعاً في قاعة واحدة، فكان النورسي يلقي فيهم دروساً إيمانية تثبتهم في الأسر، ومنعه الروس من إلقاء الدروس حيناً ثم سمحوا له بها.

وكان الأستاذ سعيد النورسي عزيزاً أبياً في أسره، لم يعط الدّنيَّة من نفسه، وقد مرت به حادثة تستحق أن تسجل، لأنها تمثل عزة المؤمن في مواجهة صلف الأعداء.

زار معسكر الاعتقال القائد العام لجبهة القفقاس، خال القيصر: نيقولا نيقولا فيتش، ولما مر من أمام الأسرى وقفوا له، وعندما مر من أمام الأستاذ سعيد النورسي لم يتحرك ولم يقف له

، فعاد مرة أخرى فكان كذلك، ، وفعل ذلك مرة ثالثة، ودار بينهما الحوار التالي من خلال مترجم:

-قال القائد: ألم تعرفني؟

-قال الأستاذ النورسي بلى، عرفتك، وذكر اسمه ومنصبه.

- قال القائد: فلم تقصدت إهانتي بعدم القيام لي؟

- فأجاب الأستاذ النورسي: أنا لم أقصد الإهانة، بل فعلت ما تأمرني به عقيدتي .

-فاستفسر القائد عما تأمره به عقيدته.

- فقال: إنني عالم مسلم أحمل في قلبي الإيمان، فالذي يحمل في قلبه الإيمان أفضل ممن لا يحمله. فلو أنني قمت احتراماً لك لكنت إذن قليل الاحترام لعقيدتي، ولهذا لم أقم.

-كان هذا الكلام كبيراً لم يستطيع القائد احتماله.

-فقال: إنك تهينني بإطلاق صفة عدم الإيمان عليّ، وتهين جيشي وأمتي والقيصر.

وأمر بتشكيل محكمة عسكرية للنظر في استجواب الأستاذ النورسي، وجاء الضباط الأسرى من أتراك وألمان يطلبون من الأستاذ النورسي الاعتذار للقائد وطلب العفو منه حتى لا يحكم عليه بالإعدام في المحكمة العسكرية.

وجاء جوابه الإيماني: إنني راغب في الرحيل إلى دار الآخرة والمثول بين يدي الرسول الكريم ﷺ فأنا بحاجة لجواز سفر فحسب للآخرة، ولا أستطيع أن أعمل بما يخالف إيماني.

واجتمعت المحكمة العسكرية وقررت إعدام الأستاذ النورسي، بتهمة إهانة القيصر والجيش الروسي. وجاءت مفرزة روسية لتأخذه إلى ساحة الإعدام، فطلب خمس عشرة دقيقة ليتوضأ ويصلي ركعتين.

وفي أثناء أداء الصلاة حضر القائد العام لجبهة القفقاس بمفاجأة للجميع جاء يخاطب سعيد الأستاذ النورسي ويقول له:

أرجو منك المعذرة، كنت أظن أنكم قمتم بعملكم هذا قصد إهانتي، فأخذت الإجراءات القانونية بحقكم، ولكن الآن أدركت أنكم تستلهمون هذا العمل من إيمانكم، وتنفذون ما تآمركم به عقيدتكم، لذا أبطلت قرار الحكم بحقكم. إنكم تستحقون كل تقدير وإعجاب لصلاحكم وتقواكم، أرجو المعذرة فقد أزعجتكم، وأكرر رجائي مراراً، أرجو المعذرة.

وهكذا سجل الأستاذ سعيد النورسي صفحة عزّ في سجل الجهاد الإسلامي، فلم يجعله الأسر يخضع لآسريه.

وقد أمضى الأستاذ سعيد النورسي في الأسر أكثر من سنتين ثم يسّر الله تعالى له الفرار في صورة عجيبة، ومرّ في رحلة طويلة من روسيا إلى وارسو وفينا، حتى وصل إلى إستانبول، ووجد هناك العناية والحفاوة البالغة.

النورسي والاحتلال

هزمت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، واقتسم الحلفاء أملاكها، بل وصل الاحتلال إلى قلب عاصمتها: إستانبول.

وعلى طريقة الإنجليز المشهورة: فرق تسد، بدأ القائد الإنجليزي الذي احتل إستانبول يبذر بذور الخلاف بين مراكز القوى فيها.

ففرق كلمة علماء الإسلام، وأخذ بعضهم يهاجم الآخر، بكيد من ذلك الإنجليزي، وأذكى الخلاف بين جماعة الاتحاد والترقي وجماعة الائتلاف الذين كانوا يوالون الإنجليز، كل ذلك تمهيدا لانتصار اليونان على تركيا، وإفشال حركة المقاومة للاحتلال.

في هذا الجو المشحون بالعداء وجد الأستاذ سعيد النورسي أن من المهم شحذ همة الأمة لمواجهة الاحتلال فألف كتابا بعنوان: «الخطوات الست» ضد الإنجليز وضد واليونانيين، وكان لهذا الكتاب أثر كبير في كشف خطط الإنجليز واليونانيين، ووصل الكتاب إلى القائد الإنجليزي، وعرض عليه ما يقوم به بديع الزمان سعيد النورسي من جهود لفضح سياسة المحتلين فقرر إعدامه، ولكن بعض المستشارين بينوا له ما يمكن أن يتركه

الإعدام من غضب لدى الناس، فعدل عن الإعدام وأخذت سلطات الاحتلال في متابعته وملاحقة نشاطه.

وقد رفض بديع الزمان مغادرة إســــتانبول إلى أنقرة حين دعاه إلى ذلك قواد حركة التحرير في الأناضول، وقال: إنني أريد أن أجاهد في أكثر الأماكن خطرا وليس من وراء الخنادق، وأرى أن مكاني هذا أخطر من الأناضول.

ومن أوجه الجهاد العلمي لبديع الزمان النورســي جوابه عن أسئلة وجهها رئيس أساقفة الكنيسة الإنجليكيه إلى مشيحة الإسلام في إستانبول بعد احتلالها. وجوابه عن أربعة أسئلة وجهها قسيس حاقد أراد بها إثارة الشبهات حول الإسلام.

وهذه هي الأســئلة وإجاباتها الموجزة التي قدمها الأســتاذ النورسي.

السؤال الأول: ما دين محمد ﷺ ؟.

وجوابه: إنه القرآن الكريم، أساس قصده ترسيخ أركان الإيمان الستة،وتعميق أركان الإسلام الخمسة.

السؤال الثاني: ماذا قدم للفكر وللحياة؟.

والجواب: التوحد للفكر، والاستقامة للحياة. وشاهدي في هذا قوله تعالى: «قل هو الله احد» وقوله «فاستقم كما أمرت».

والسؤال الثالث: كيف يعالج الصراعات الحاضرة؟.

والجواب: بتحريم الربا وفرض الزكاة. وشاهدي

قوله تعالى «وأحل الله البيع وحرم الربا»

وقوله «يمحق الله الربا»

وقوله: «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة».

والسؤال الرابع: كيف ينظر إلى الاضطرابات البشرية؟.

وأجاب الأستاذ النورسي: السعي هو الأساس وألا تتكدس ثروة الإنسان بيد الظالمين وألا يكنزوها.

وشاهدي قوله تعالى : «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى»

وقوله «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم».

لقد كان الأستاذ النورسي ذا علم غزير، ووعي شديد، وإدراك للواقع الذي كان يعيشه، ولذلك أعطى كل شيء حقه، وكان على ثغرة قام بواجباتها.

سعيد القديم وسعيد الجديد

يجد من يقرأ سيرة بديع الزمان سعيد النورسي ورسائله مصطلحا غريبا هو الحديث عن: سعيد القديم وسعيد الجديد. ومن المهم تبيين ما يعنيه بذلك.

مر الأستاذ سعيد النورسي في حياته بمرحلتين: الأولى كانت منذ عهد طلب العلم حتى صار عضوا في دار الحكمة «وهي مؤسسة تضم كبار العلماء في إستانبول» بعد أن عاد من الأسر فلقي الترحاب والتكريم، والحياة المادية الرخية، وكان في هذه المرحلة ينهل من ألوان العلم، ويلقى الصيت والشهرة، ويعيش كما يعيش كثير من علماء الدين في عصره .

لكنه بعد عودته من الأسر سنة ١٩١٩م أمضى سنتين في مرحلة مخاض، وذلك حين نظر في المرآة فوجد شعرات بيضا تغزو سواد شعره، فولد لديه هذا المنظر حالة تفكير عميقة، وحالة روحية بدأت بداياتها في مرحلة الأسر. ودخل في رحلة طويلة عميقة فكر فيها في كل ما حوله ومن حوله. كان يعيش في قصر في إستانبول في أجمل أماكنها، ومعه ابن أخيه عبد الرحمن، الذي كان خادما له، وكاتبا، وابنا معنويا. ولكنه نظر إلى حقيقة الأشياء، فوجدها معرضة للفناء والزوال، ووجد نفسها في منتهى العجز، فسمع صراخا من أعماق روحه وهي تنشد البقاء لا

الفناء، وراجع ما لديه من علم، فوجد لديه مع العلوم الشـــرعية بعض العلوم الفلسـفية والعلوم العقلية التي تولد أمراضـا معنوية، فأخذ ينفض عن عقله أدران الفلســـــفة المزخرفة التي تجعل أصـحابها ينظرون إلى الفلسـفة نظرة عمق، وينظرون إلى أحكام الإسلام نظرة ظاهرية سطحية.

كان منظر الشـــــيب لا يفارق تفكيره في كونه نذيرا بالرحيل عن الحياة، وإقبال الشــيخوخة ، فأحس بحزن وأســف وحسـرة على ما فات من العمر، واسـتمد من القرآن الكريم نورا يبدد الظلمات.

رأى الشباب الذي هو مدار الأذواق واللذات يرحل.

ورأى ما حظي به في إستانبول من إكرام وإعجاب أمورا لا تصاحبه بعد رحيله عن الدنيا بل تقف عند باب القبر.

ورأى الرياء والغفلة يكمنان تحت الســـــتار المزركش للسمعة والصيت، فأدرك خديعة ذلك كله.

ورأى وسمع بشـــارة القرآن الكريم للذين آمنوا ، فتبدلت نظرته إلى الأشـياء، وأولها الموت، الذي له عند الناس وجه مرعب مخيف، لكنه بنور القرآن تحول إلى وجه صـبوح منور، فهو ليس إعداما ولا فراقا أبديا ، بل مقدمة لحياة أبدية.

وتغيرت نظرته إلى الشـــــباب حين تأمل ما فيه من المهالك والأضرار فمنّ الله عليه بالنجاة من ذلك في شبابه.

وتغيرت نظرته إلى الدنيا فوجدها ثلاث دنى:

- دنيا هي مرآة للأسماء الحسنى.
- ودنيا هي مزرعة للآخرة.
- ودنيا أهل الغفلة واللهو.

انكشـــــف له ذلك ، فتغيرت حياته، وتغيرت نظرته إلى الأشياء وقرر السير في طريق جديد صار فيه سعيدا الجديد.

وصورة سعيد الجديد تحتاج إلى المزيد من البيان والإيضاح.

تحولات في حياة النورسي

تذكرني التحولات التي وقعت في حياة بديع الزمان سعيد النورسي بما حدث مع الإمام الغزالي الذي كان ذا مركز علمي واجتماعي راقٍ في بغداد ، وكان شيخ المدرسة النظامية، ولكنه رغم كل ذلك أحس في أعماقه ما يدعوه إلى الخروج من الزيف الذي يملأ الحياة والانتقال إلى حقيقة الدين.

لقد خاض الأستاذ النورسي غمرات الحياة، فجاهد وجرح وأسر، وشارك في السياسة، وسعى إلى توجيه الانقلاب الذي وقع على الخلافة ليكون في صالح الإسلام، ووقف في وجه مخططات الإنجليز، لكنه أدرك أن هناك مرحلة قادمة قاتمة، الحرب فيها على الدين معلنة غير خفية، ولذلك وجه وجهه نحو القرآن والإيمان، لمواجهة الرياح العاتية التي تسعى إلى طمس نور القرآن، واجتثاث جذور الإيمان.

وقد سجل خواطره وأحواله المختلفة في مراحل حياته، فهو يروي لنا حاله سنة «١٩٢١م - ١٣٣٩هـ» فيقول:

«بعدما رجعت من الأسر سيطرت الغفلة علي مرة أخرى طوال سنتين من حياتي في إستانبول، حيث الأجواء السياسية،

وتياراتها صـرفت نظري عن التأمل في نفسـي وأحدثت تشـتتا في ذهني وفكري».

ويروي لنا خواطره وهو في مقبرة أبي أيوب الأنصـاري، وتفكر في الموت والحياة، فوجد في مقبرة إستانبول أجيالا طواها الزمان، وغطاها التراب، وكانت الصـورة مخيفة، لكنها كشفت له الحقيقة ، وعرف أنه في الحياة ضيف :

«إنما أنا ضيف، وضيف من ثلاثة أوجه:

إذ كما أنني ضيـف في هذه الغرفة الصـغيرة، فأنا ضـيف كذلك في إستانبول، بل أنا ضيف في الدنيا، وراحل عنها، وعلى المسافر أن يفكر في سبيله ودربه».

ومما يلفت النظر لدى الأستاذ النورسي أنه لم يأخذ الصورة المتشـائمة للموت، وذلك اسـترشادا بنور القرآن، وإرشادات الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتبه، فتجلى له الموت في صـورة غير الصورة المخيفة التي تصور الناس جنائز متحركة. فقد شبه الموت بالعودة إلى إسـتانبول من الأسـر حيث يجد الأحباب والأصـحاب. وقد نظر فوجد أن كثيرا من أحبابه وأصـحابه قد سـبقوه إلى الموت، إلى تلك المقبرة التي تبدو موحشـة، لكنها في الحقيقة غير ذلك، فأرواح الموتى باقية، تسرح في عالم البرزخ.

....واللّه تعالى الذي زين الدنيا لعباده، وتجلت فيها ألطافه، لا يمكن أن يفني الإنسـان فناء بحيث يصـبح لا وجود له، فالإنسـان أكمل مخلوقات اللّه وأكرمها وأجمعها، ووضـع الإنسان بالموت تحت التراب هو كوضع بذرة الشجرة في التراب، ليعطي الإنسان وجودا في عالم آخر.

هذا التصـور للموت قلب الصـورة لدى الأسـتاذ سـعيد النورسي، فصارت المقبرة له مصدر أنس لا مبعث وحشة، واخذ يقرأ تراث الشـيخ عبد القادر الجيلاني الذي اتخذه الأسـتاذ النورسي أستاذا وطبيبا ومرشدا، من خلال كتابه: فتوح الغيب، وكذلك وجد الأنس في مؤلفات الإمام أحمد الفاروقي السرهندي.

وهكذا سـار الأسـتاذ النورسـي في طريق الانسـحاب من الحياة الاجتماعية، لا لينقطع عن الدنيا بل ليترك لنا من بعده تراثا نورانيا تستضيء به أجيال كثيرة في «رسائل النور».

النورسي ونداء عبر القرون

في حياتنا كثير من الأمور الغريبة التي قد لا نجد لها تفسيرا. والتفسير الوحيد لها هو: أنها تكون سببا لانعطافة حادة، ومرحلة جديدة.

قل ذلك في رؤيا يراها الواحد منا، أو في لقاء عارض مع شخص يكون لقاؤه مفتاح مرحلة جديدة، تزيل قسوة قلب، وتكشف غشاوة عين.

ذلك بعض ما كان مع الأستاذ سعيد النورسي، الذي حدثنا عن أزمة روحية وقع فيها سنة ١٣٣٩/١٩٢١. حين وجد نفسه «غارقا في الأوحال استنجد وبحث عن طريق، وتحرى عن منقذ يأخذ بيده، رأى السبل أمامه مختلفة، حار في الأمر».

وكان مخرجه في كتاب: فتوح الغيب للشيخ عبد القادر الكيلاني. فتح الكتاب وقرأ فيه جملة لامست واقعه:

«أنت في دار الحكمة فاطلب طبيبا يداوي قلبك».

وعجب من هذا الكلام لأنه كان عضوا في دار الحكمة الإسلامية، ووافق قول الشيخ عبد القادر حاله وإن يكن بالإشارة، قال النورسي: «وكأنما جئت لأداوي جروح الأمة الإسلامية والحال أنني كنت أشد مرضا وأحوج إلى العلاج من أي شخص آخر، فالأولى للمريض أن يداوي نفسه قبل أن يداوي

الآخرين». ووقع بين النورسي والكيلاني خطاب عبر الكتاب حيث وجده يقول له: أنت مريض، ابحث عن طبيب يداويك.

فقال النورسي له: كن أنت طبيبي، أيها الشيخ.

وبدأ بقراءة «فتوح الغيب» فوجده يخاطب ذاته، وكان شديد اللهجة في خطابه يحطم غروره، مما جعله يحس أن الكتاب أجرى عمليات جراحية عميقة في نفسه، فلم يتحمل استمرار ذلك، فقرأ ما يقارب نصفه، ثم توقف. ثم مضت مدة من الزمن فأحس أن آلام جراح العملية قد زالت وخلفت وراءها لذائذ روحية عجيبة.

فعاد إلى الكتاب مرة أخرى، وأمضى معه ساعات طويلة أصغى فيها إلى أوراده ومناجياته الرقيقة، واستفاد منه فوائد جليلة. ذلك ما كان من شأنه مع الشيخ عبد القادر الكيلاني.

وكأن له شأن آخر مع الإمام الفاروقي السرهندي، الذي يرى بعض العلماء أنه مجدد الألف الثاني، فقد وجد الأستاذ النورسي في كتابه: "مكتوبات" امرأ عجيبا، حيث وجد في رسالتين منه لفظة: ميرزا بديع الزمان ، وأحس أن الإمام الفاروقي يخاطبه ، لأنه كان قد لقب في صباه ببديع الزمان، وكان اسم أبيه: ميرزا، ولم يكن يعلم أن أحدا لقب ببديع الزمان قبله سوى الهمذاني، وهذا يعني أنه قد عاصر الإمام الفاروقي من كان لقبه

بديع الزمان ووافق اسم أبيه اسم والد سعيد النورسي، وأحس أن حالة ذلك الشخص كانت تشبه حاله هو، حيث وجده يوصيه بقوله: **وحد القبلة**.

أي اتبع أماما ومرشدا واحدا ولا تتشغل بغيره. ووقع النورسي في حيرة: أي الشيخين يتبع: الكيلاني أم الفاروقي؟

وجاءه الحل في خاطر رحماني حل له الإشكال على النحو الآتي: «إن بداية هذه الطرق جميعها، ومنبع هذه الجداول كلها، وشمس هذه الكواكب السيارة، إنما هو القرآن الكريم، فتوحيد القبلة الحقيقي إذن لا يكون إلا في القرآن الكريم، فالقرآن هو اسمى مرشد، وأقدس أستاذ على الإطلاق».

وقد وجد في هذا الخاطر خلاصه من حيرته، وتوحيدا للقبلة، ولذلك فهو يرى أن «**رسائل النور**» التي جرى بها قلمه من بعد أن اتخذ القرآن الكريم إماما له ومرشدا، ، وأملى تلك الرسائل على تلاميذه، هي فيض من نور القرآن الكريم الذي اتخذه إماما، وهي ليست مسائل عقلية وعلمية فحسب، بل هي مسائل قلبية وروحية، وأحوال إيمانية، فهي علوم إلهية نفسية، ومعارف ربانية سامية».

ذلك بعض شأن الأستاذ سعيد النورسي مع مرشدين سبقاه بقرون، وقاداه إلى نبع النور: القرآن الكريم.

سعيد النورسي والحياة الروحية

قليل هم المفكرون الذين يمتلكون حياة روحية باطنية أي داخلية، يعيشونها كما يعيشون حياتهم الظاهرية، مما يجعل أفكارهم وآراءهم ثمرة ذوق وتفاعل قلبي روحي عقلي لا ثمرة جهد عقلي ظاهري يتجلى في كلمات لا رصيد لها في الحياة الداخلية. ومثل ذلك مثل أوراق العملة التي لا رصيد لها من الذهب.

وبديع الزمان سعيد النورسي كان من أولئك القليل، ويتجلى ذلك في سيرة حياته، كما يتجلى في كل ما كتبه في رسائله، وهو يصرح بذلك ولا يكتمه، ولذلك يكثر من ضرب الأمثال التي يحدثك عنها حديث من عايش لا حديث من تخيّل. استمع إليه وهو يحدثك عن مرحلة الانتقال التي عاشها بين ما سماه سعيدا القديم الذي درس ألوان العلوم وخاض غمرات الحياة، وشارك في السياسة، وسعيد الجديد الذي وحّد وجهته، وأدرك طريقه، ووجد نفسه مسخرا لخدمة القرآن الكريم، إنه يحدثك عن «حادثة خيالية» هي أشبه بالرؤيا، تجلت في صورة سياحة خيالية، ومنها قوله:

«كنت أرى نفسي وسط صحراء شاسعة عظيمة، وقد تلبدت السماء بسحب قاتمة مظلمة، الأنفاس تكاد تختنق على الأرض كافة، فلا نسيم ولا ضياء ولا ماء، كل ذلك مفقود،

توهمت أن الأرض ملأى بالوحوش والضواري والحيوانات الضارة، فخطر على قلبي أن في الجهة الأخرى من الأرض يوجد نسيم عليل، وماء عذب، وضياء جميل، فلا مناص إذن من العبور إلى هناك».

ويمضي بك في وصف هذه الرحلة التي تصور حالته الفكرية، وهذا الذي ذكرته هو منهج دائم في حياته وتفكيره، وليس فلتة عارضة. استمع إليه وهو يحدثك عن منزلة السنة لديه، تحت عنوان «السنة النبوية مصابيح الهدى»:

«إني شهدت في سيري في الظلمات السنن السنية نجوما ومصابيح، كل سنّة وكل حدّ شرعي يتلمع بين ما لا يُحصر من الطرق المظلمة المضلة، وبالانحراف عن السنة يصير المرء لعبة للشياطين، ومركب الأوهام، ومعرض الأهوال، ومطية الأثقال - أمثال الجبال - التي تحملها السنّة عنه لو اتبعها، وشاهدت السنن كالحبال المتدلية من السماء، من استمسك بها ولو بجزئي استصعد واستسعد، ورأيت من خالفها واعتمد على العقل الدائر بين الناس كمن يريد أن يبلغ أسباب السماوات بالوسائل الأرضية فيتحمق كما تحمق فرعون بـ «يا هامان ابن لي صرحا».

هكذا تجد نفسك مع الأستاذ سعيد النورسي في عالم هو أقرب إلى عالم الرؤيا لا في خياليته بل في واقعيته. إنه يتحدث عما

رأى وسمع، لا عما تخيل وتوهم. وهو في ذلك تلميذ القرآن الكريم الذي من نوره أفيضت عليه الأنوار.

وهو يصرح بذلك في قوله :

"ولله الحمد كان القرآن هو مرشدي وأستاذي في هذا الطريق، نعم، من استمسك به استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، لا تحسبن أن ما اكتبه شيء مضغته الأفكار والعقول، كلا بل فيض أفيض على روح مجروح، وقلب مقروح، بالاستمداد من القرآن الكريم.

ولا تظنه أيضا شيئا سيالا تذوقه القلوب وهو يزول، كلا، بل أنوار من حقائق ثابتة انعكست على عقل عليل، وقلب مريض، ونفس عمي."

من أجل هذا كانت الحياة مع بديع الزمان سعيد النورسي فيما كتب، والدخول إلى عالمه: شيئا ممتعا، ولكنه قد يكون صعبا على من تعود السطحية فيما يقرأ، والسهولة فيما يفكر فيه.

سعيد النورسي في أنقرة

بعد أن أنتصر الأتراك على اليونانيين أرسل كمال أتاتورك رسـالة إلى الأسـتاذ سـعيد النورسـي من خلال والي مدينة «وان» يسـتدعيه فيها إلى أنقرة. ويبدو أن مصـطفى كمال كان يدرك من هو سـعيد النورسـي، فقد اطلع على بعض كتاباته، وعرف مسيرة حياتهوأثره في الناس، وكان يسعى إلى استقطابه وضمه إلى أتباعه. ولم يكن يعلم أن الدنيا خرجت من قلبه، وأدرك حقيقتها، وأنه جعل همه في الحياة : إحياء الإيمان في القلوب.

واسـتجاب الأسـتاذ سـعيد النورسـي للدعوة، وشـاهد فرح المؤمنين لاندحار اليونانيين أمام الجيش الإسـلامي، لكنه بنافذ بصيرته رأى كما يقول خلال هذا الفرح :

«زندقة رهيبة تدب بخبث ومكر، وتتسـلل بمفاهيمها الفاسـدة إلى عقائد أهل الإيمان الراسـخة، بغية إفسـادها وتسميمها»

ولذلك ألف في اللغة العربية رسالة استقى معانيها من قوله تعالى: «أفي اللّه شك فاطر السماوات والأرض».

ولكنه كما يرد في سـيرته يبين ضـعف أثر براهين تلك الرسالة في الناس ، يقول :

«لم ألمس آثار البرهان الرصـــين في مقاومة الزندقة وإيقاف زحفها إلى أذهان الناس، وســبب ذلك كونه مختصــرا ومجملا جدا ، فضلا عن قلة الذي يتقنون العربية في تركيا.. ».

كان الهدف الذي يســعى إليه ســعيد النورســي منذ بداية وعيه وتحركه «هو حصول صحوة إسلامية تعم العالم الإسلامي».

وقد تجلى ذلك في مباحثاته مع العلماء في شرقي الأناضول، قبل قدومه إلى إســتانبول ، وبعد قدومه إليها ، ولكن ســقوط الدولة العثمانية كان له أثر كبير على العالم الإسلامي، فكان إحساس بديع الزمان سعيد النورسي أن عليه مهمة كبيرة ليحمل راية الإيمان في زمن أخذت الزندقة تسعى إلى إطفاء نوره.فجاء إلى أنقرة آملا أن يحقق شيئا للإسلام لدى المسلمين، وكان يأمل بعد أن تحقق النصر على اليونانيين أن تستند الحكومة الجديدة على القرآن الكريم، وتجعله دستورها ، وتسعى إلى وحدة المسلمين، وتظهر الحضــارة الإســلامية ، لكن أمله خاب حين وصــل إلى أنقرة، ولقي استقبالا حافلا من المسؤولين الرسميين.

خاب أمله حين رأى عدم الاكتراث بالشعائر الإسلامية في البرلمان، فوجد من واجبه تذكيرهم بذلك، ووزع عليهم بيانا يدعوهم فيه إلى العبادات ولا ســيما الصــلاة ، وكان من ثمرات ذلك أن أدى الصــلاة ســتون نائبا ، لأنه خاطب المســؤولين بالحجج

القوية واستثار فيهم النخوة الإسلامية، لكن كان لهذا البيان أثر سلبي لدى مصطفى كمال ، كما سنرى من بعد .

عاصر الأستاذ سعيد النورسي أواخر العثمانية وسقوطها، كما عاصـــــر قيام الدولة العلمانية الحديثة. ورأى تغيرات في المجتمع وفي الطبقة السياسية، ورأى كيف يتلاعب السياسيون بالناس وبالمصـــالح لتحقيق غاياتهم الذاتية ذات النزعة الفرعونية التي تنكر حقائق الإيمان بل تسعى إلى طمسها، وفي سبيل ذلك يتجاوزون كل القيم والمبادئ التي ورثتها الأمة عن أئمة الهدى في تاريخها.

وقد أعلن الأستاذ سعيد النورسي هجرة للسياسة، لا فصلا للدين عنها، بل كان هجرة للســـياســـة الميكافيلية التي رآها كالوحش الكاسر وقد تربعت على كرسي الحكم في أنقرة ، وكان من أســـباب ذلك أيضـــا أنه رأى رجلا عليه سمات العلماء يقدح في عالم آخر إلى حدّ تكفيره وذلك لخلاف سياسي بينهما. وفي الوقت نفســه أثنى على شـخص آخر منافق لأنه وافقه في رأيه السياسي.

كان من ثمرة ذلك أن اســتعاذ باللّه من الســياســة، وقال كلمته المشهورة:

"أعوذ باللّه من الشيطان والسياسة."

وإنما كان انسحابه من السياسة للتفرغ لخدمة القرآن الكريم، ولم يكن ناشئا عن خوف على شيء يفقده في دنياه. فهو كما يقول ليس له أهل ولا أولاد، ولم يكن له مال أو سعي إلى منصب، ولا تفكير في قيم المجتمع الزائفة.

لقد أدرك حقيقة الحياة الدنيا ، وتجلت له الحياة البشرية في صورة ركب وقافلة تمضي، ورآها في نور القرآن تمضي إلى مستنقع آسن، ورآها تتعثر في سيرها حتى تقع في أوحال ملوثة منتنة هي الحياة الاجتماعية العابثة الملوثة بالغفلة، الملطخة بالضلالة.

و رأى أن في جميع التيارات السياسية عشاقا لنور القرآن الكريم ولكنهم لا يدركون ذلك النور بما يحول بينهم وبينه من الحجب.

وكان من فضائل هجره للسياسة أنه لم يبخس حقائق القرآن قدرها ، ولم يسخرها في الدعاية السياسية التي سعت إلى استخدامه في ذلك لكنه كان واعيا لما يراد منه . لقد فرّ من السياسة - بالمفهوم المعاصر -خدمة للقران الكريم، وخدمة

للإيمان، وهي أهم خدمة وألزمها وأسلمها، وفوائدها تنتقل إلى الآخرين من خلال ما فتحه الله عليه فيمن رسائل النور.

لقد خاض سعيد النورسي السياسة قريبا من عشر سنين، وكان يأمل من ذلك أن يخدم الإسلام، لكن محاولاته ضمن ظروف عصره، ذهبت أدراج الرياح، ورأى أنه إما أن يكون موافقا للدولة أو معارضا لها في السياسة، وفي كلتا الحالتين لم يجد خيرا للإسلام، ووجد من بعد ذلك أن الخير في التفرغ لخدمة الإيمان.

وقد أحسن في ذلك، فلو خاض غمار السياسة لانطوى ذكره كما أنطوى ذكر ساسة عصره، لكنه بما اشتغل به أبقى مشاعل هداية مستمدة من أنوار القرآن الكريم في تراثه: «**رسائل النور**».

سعيد النورسي ومصطفى كمال

كان مما ذكّر به سعيد النورسي رجال البرلمان والمسؤولين الكبار في الدولة أن لخص لهم ما يريد في عشر نقاط، ومن ذلك:

أنه ذكرهم بنعمة الله عليهم بالنصر الذي يستوجب الشكر،

وأن موقف العالم الإسلامي منهم يكون إيجابياً حين يلتزمون شعائر الإسلام.

وأنهم كانوا قادة المجاهدين والشهداء في الحرب وذلك يلزمهم امتثال أوامر القرآن الكريم.

وأن الأمة مع أن بعض أفرادها لا يصلون فإنهم يحبون أن يكون قادتهم من المصلين.

وأنهم بانتصارهم قد أيقظوا الشرق الذي كان عبر الزمن موطن الأنبياء ولذلك عليهم أن يمنحوه النهج السليم الذي يتفق مع فطرته. وذكرهم أن أعداءهم الإنجليز يستغلون إهمالهم لأمور الدين، وذلك يؤدي إلى ازدراء الناس لهم كما حدث مع رجال الاتحاد والترقي.

وأشار إلى أنه على الرغم من تمكن عالم الكفر من الإغارة على المسلمين فإن الفرق الضالة التي استجابت له هي أقلية، ولذلك لم يستطع أن يهزم المسلمين دينياً.

ورأى أنه لا يمكن القيام بعمل إيجابي بناء مع التهاون في الدين، وذكرهم أخيراً : أن سلوك الطريق الذي يغلب على الظن أنه طريق هلاك ضرب من الجنون مع وجود الطريق الآمن بالتزام العبادات التي -ومنها الصلاة -لا تستغرق في اليوم الواحد أكثر من ساعة.

ووصل البيان إلى مصطفى كمال،فلم يعجبه موقف الأستاذ النورسي ، ودار بين الأستاذ وبينه نقاش حوله، حيث اتهمه مصطفى كمال ببث بذور الفرقة بين الطبقة العليا في الدولة!!

ورد عليه الأستاذ سعيد النورسي رداً قوياً قال فيه:

"إن أعظم حقيقة في الإسلام بعد الإيمان هي الصلاة، والذي لا يصلي خائن، وحكم الخائن مردود. "

وكظم مصطفى كمال غيظه، ورأى أن يسترضي الأستاذ سعيد النورسي ، أو لنقل حاول شراءه ، فعرض عليه منصب الواعظ العام في الولايات الشرقية براتب قدرره ثلاثمائة ليرة، وتعيينه في مجلس المبعوثان ((البرلمان)) وفي رئاسة الشؤون الدينية مع عضوية ((دار الحكمة الإسلامية)) . ولكن الأستاذ سعيد النورسي كان يدرك حقيقة موقف مصطفى كمال من الدين،

ورأى أن التعاون معه غير ممكن، ولذلك رفض هذه المناصب وآثر البعد عن السياسة الملوثة.

وعندما لامه بعض المسؤولين على عدم قبول تلك المناصب التي كان يمكن أن يدفع بها شرا ويحقق بعض الخير ، كان جوابه : أن رسائل النور التي كتبها من بعد كانت سبباً في إنقاذ ملايين السنين للحياة الأخروية لمئات الآلاف من المواطنين، فلو قبل المناصب لما ظهرت رسائل النور التي تحمل في طياتها سر الإخلاص.؟

وكان أن تعرض بعد هذا الموقف لألوان من الأذى والنفي والمتابعة ، فكان لا يخلص من محكمة إلا ليدخل محكمة ، ولا يغادر منفى إلا إلى منفى آخر أو سجن ، ولكنه مع ذلك كان يحمل قلب المؤمن الداعية المشفق على من عميت أبصارهم عن النور .وقد قال لبعض طلابه وهو في أحد السجون التي أدخلها ظلما وعدوانا :

"لو أن الحكام الموجودين في أنقرة الذين آلمتهم صفعات رسائل النور الشديدة فحكموا علي بالشنق ثم استطاعت رسائل النور أن تنقذ إيمانهم وأن تنقذهم من الإعدام الأبدي فاشهدوا أنني أصفح عنهم من كل قلبي".

النورسي بين اليأس والرجاء

عاد سعيد الأستاذ النورسي من أنقرة بعد المواجهة مع مصطفى كمال، إلى مدينة «وان » في شرقي الأناضول، حيث موطنه الأول ومرتع شبابه. وكان لهذه العودة التي وقعت في سنة ١٩٢٣ وقع شديد على نفسه.

غاب عن تلك الديار سبع سنوات، وتعرضت في غيابه للاحتلال الروسي، والتدمير على يد الأرمن. وعندما مرّ على المدرسة التي كان يعلم فيها طلابه وجدها خرابا، ككثير من معالم مدينة وأن.

واسترجع في ذاكرته صور كثير من المعارف والتلاميذ فوجد أن كثيرا منهم قد رحل عن الدنيا شهيدا في خضم الاحتلال الروسي، والعنف الأرمني.

كأن يؤمل في عودته إلى «وان» أن ينجو من الاغتراب، لكن ما شاهده جعله يرى كما وصف :

«أفجع غربة في مدينتي نفسها »

واستذكر قول الشاعر العربي:

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت
لها المنايا إلى أرواحنا سبلا

ويصف حاله وما أنعكس عليه من مشاهد المدينة بقوله:

«إن أكثر ما يقضي على الإنسان ويهلكه إنما هو مفارقة الأحباب. نعم إذ لم يؤلمني شيء ولم يبكني مثل هذه الحادثة، فلو لم يأتني مدد من القرآن الكريم ومن الإيمان لكان ذلك الغم والحزن والهم يؤثر فيّ إلى درجة تكفي لسلب الروح مني ».

لقد عاد الأستاذ سعيد النورسي بذاكرته إلى عهد بكاء الأطلال، واستذكر أحوال الشعراء في ذلك عندما رأى نفسه يقف على أطلال «وان»، ولاح له الوجه البشع من الدنيا: وجه الخراب والزوال والفراق. ومما يدل على تأثره وانفعاله قوله:

«فبينما كنت أريد أن ابكي بعيني لشيخوختي - باعتبار وجودي - كنت أريد أن أجهش بعشر عيون لا لمجرد شيخوخة مدرستي بل لوفاتها، بل كنت أشعر أنني بحاجة إلى البكاء بمئة عين على مدينتي الحلوة الشبيهة بالميتة.بل إن كل شيء حوله لاح له كأنه يبكي، حتى لاح له الكون في صورة مأتم. ولكن المدد القرآني أنقذه من هذا الحال، حين لاحت له أنوار قوله تعالى :

«سبح للّه ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم ❖ له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ».

لقد كشفت له هاتان الآيتان الوجه الآخر للدنيا، حين التفت إلى جانب الحياة لا إلى جانب الموت وحده، فرأى الأثمار

المعلقة على الأشـجار المثمرة : وهي تنظر إليه مبتسـمة ابتسـامة حلوة وتقول له: لا تحصـــــرن نظرك في الخرائب وحدها، فهلا نظرت إلينا وأنعمت النظر فينا.

لقد أعادت إليه هاتان الآيتان التوازن، فرفع بصــره إلى رب كل شيء ومالكه الحقيقي، الذي بيده ناصية كل شيء، وعلى صفحة مدينة «وان» التي أصابها الخراب على يد الإنسان تكتب يد القدرة باستمرار بكمال التوهج والبهجة آيات العمران والحياة.

وهكذا دخل الأســتاذ النورســي مرحلة جديدة بعد هذه المحنة.

النورسي والولاء للدين

اشـتغل بديع الزمان سـعيد النورسـي بعد عودته إلى «وان»، بـإلقـاء دروس في حقـائق القرآن الكريم على طلابـه، وذلـك بعـد قراره بهجر السياسـة. وقد شهد شرق الأناضول ثورة كردية ضد ما قام به مصطفى كمال من خطوات تحارب دين الله ،قادها الشيخ «سعيد بيران » .

وفي بداية الأمر لم يمس المسؤولون بديع الزمان سعيد النورسـي بسوء، ثم بدا للأستاذ النورسي أن يعتزل الناس في جبل قرب «وان» اسمـه «جبـل أرك» لينـزوي في مغـارة فيـه يعبـد اللّـه، عندها جاء الأمر بنفيه من مدينة «وان» في شـرقي الأناضـول إلى مدينة «بوردور » في غرب الأناضول.

كان موقف الأستاذ النورسي من ثورة الشيخ «سعيد بيران » حازما برفض الاقتتال بين المسلمين، وقد بعث إليه برسالة قال فيها:

«إن ما تقومون بـه من ثورة تدفع الأخ لقتل أخيه، ولا تحقق أية نتيجة، فالأمة التركية قد رفعت راية الإسلام، وضحت في سبيل دينها مئات الألوف بل الملايين من الشهداء، فضلا عن تربيتها ملايين الأولياء، لذا لا يُستلُّ السيف على أحفاد الأمة

البطلة المضحية للإسلام، الأمة التركية، وأنا أيضا لا أستلّه عليهم».

لقد انحاز بديع الزمان سعيد النورسي إلى أمته -أمة الإسلام-ولم يقع في ضيق الانتماء القومي. ومع ذلك جاءته مفرزة عسكرية إلى مغارته واعتقلته، وعاملته معاملة خشنة لا تليق بأهل العلم والدين. وفي الطريق وهو مع المفرزة جاءه بعض طلابه وأقاربه وكلموه بالكردية وعرضوا عليه ألا يذهب مع الذين اعتقلوه، وقالوا إنهم مستعدون لتهريبه إلى مكان آخر في داخل تركيا أو في بلد إسلامي آخر، لكنه رفض ذلك، وكان يهدف من رفضه إلى حقن الدماء حتى لا تقع مواجهة دموية بين رجال الدولة وأهل مدينته.

ومرّ في طريقه إلى منفاه بإستانبول، ومر بدار الحكمة التي كانت تابعة لديوان مشيخة الإسلام التي عمل فيها بديع الزمان مدة من الزمن، وقد بكى بكاء مرا حين وجد دار الحكمة قد حولت إلى «إعدادية للبنات وموضع للهو واللعب» ، فتوجه إلى اللّه تعالى بدعاء حار ملتهب كانت ثمرته أن شب الحريق في تلك الدار في تلك الليلة، وقال معقبا على ذلك الحريق :

«فتأسف الجميع إلا أنا ومن مثلي ممن احترق فؤاده، حمدنا اللّه تعالى».

كان بديع الزمان يتلمس دلائل رعاية اللّه تعالى له بفضل خدمته للقرآن الكريم. ومن ذلك أنه طلب منه عند قدومه إلى منفاه في «بوردور» أن يثبت وجوده يوميا في مركز الشرطة، لكنه لم يفعل ذلك، حتى شكاه والي المدينة إلى رئيس أركان الجيش، فكأن جوابه :

«احترموه، ولا تتعرضوا له»

وقد علل بديع الزمان النورسي هذه الوصية من شخص لم تكن له معه علاقة بقوله :

«إن الذي أنطقه بهذا الكلام هو كرامة العمل القرآني ليس إلا».

كأن بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله إنسأنا حساسا شديد الحساسية، ولعل حياة العزلة التي فرضت عليه زادت من تلك الحال. لكنه كان يبدد كل ما يرد عليه من الأحزان والآلام العارضة بأنوار القرآن الكريم التي كانت تتجلى له في وحدته في منفاه في بلدة (بارلا)، وكان التفكر والتدبر في الكون وفي القرآن الكريم يفيضان عليه من تلك الأنوار.

وقد حدثنا عن أثر وفاة ابن أخيه عبد الرحمن عليه، وما أصابه من الحزن ثم المخرج الذي أنفتح له بأنوار القرآن الكريم .

لم يتزوج بديع الزمان سعيد النورسي لما أصابه في حياته من أحوال وأهوال لم تتح له المجال للزواج. ولذلك كان ابن أخيه عبد الرحمن، بما تجلى فيه من صفات ، وما كان له فيه من آمال كما وصفه بقوله :

" هو ابن أخي بل ابني المعنوي وتلميذي المخلص وصديقي الشجاع"

لقد حال النفي بين الأستاذ النورسي وابن أخيه الذي بعث إليه برسالة قبل وفاته أبلغه فيها أن أقصى ما يتمناه هو الوصول إلى عمه، ليقوم برعايته في شيخوخته، ويساعده في تسجيل أنوار القرآن الكريم التي يفيضها عليه، وليسهم في كتابتها ونشرها بين الناس.

ويصور الأستاذ النورسي أثر وفاة عبد الرحمن عليه بقوله :

"كنت أقول : إن نصف دنياي الخاصة قد انهد يوم وفاة أمي، بيد أنني رأيت أن النصف الآخر قد توفي أيضاً بوفاة عبد الرحمن فلم تبق لي إذن علاقة مع الدنيا"

كان للأستاذ النورسي أمل أن يكون عبد الرحمن خير خلف له، وأن يحل مكانه من بعده ليكون أذكى تلميذ لرسائل النور، والأمين المخلص المحافظ عليها.

كان لموت عبد الرحمن أثر العاصفة في نفس الأستاذ النورسي، وكان يذهب متجولا في وديان بارلا حاملا آلامه وأحزانه. وكان يستعرض شريط حياته مع طلابه ومع عبد الرحمن، حتى انكشف عنه ما كان فيه من الحزن بأنوار قوله تعالى :

(كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون).

فأخذ يردد: يا باقي أنت الباقي.

تجلى له أول الأمر في ضوء هذه الآية ثلاث جنائز كبرى:

أولاها: عمره الذي بلغ خمسا وخمسين سنة، فرأى نفسه كشاهد قبر يضم خمسة وخمسين سعيدا ماتوا ودفنوا في حياته.

وثانيها: رأى نفسه على صغرها في هذا العصر كشاهد قبر للجنازة العظمى لبني آدم منذ وجد البشر على الأرض.

وثالثها: موت هذه الدنيا الضخمة.

وجاءه الغوث من نور قوله تعالى :

(فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم)

فتعلم من هذه الآية أنه ما دام الله سبحانه موجودا فهو البديل عن كل شيء، وهو كاف عبده. ومن تجليات نوره ما

يمنح تلك الجنائز الثلاث حياة معنوية تجعل تلك الجنائز ارتحالا لمن أنهوا وظائفهم على الأرض إلى العالم الآخر.

لقد بين الأستاذ النورسي أن ما نجاه من ظلمات تلك الأحزان تكرار قوله: يا باقي أنت الباقي ، فكان أثرها أول مرة يقولها فيها كأثر العملية الجراحية على الجروح المعنوية الناتجة عن زوال الدنيا ومن فيها من الأحبة من أمثال عبد الرحمن. وفي المرة الثانية صارت هذه الجملة: يا باقي أنت الباقي مرهما شافيا من جميع الجروح المعنوية، وبلسما شافيا لها. وصار أمامه من أنوارها :

"ليرحل من يرحل يا إلهي فأنت الباقي وأنت الكافي، وما دمت باقيا فلتجل من تجليات رحمتك كاف لكل شيء يزول، وما دمت موجودا فكل شيء إذن موجود لمن يدرك معنى انتسابه إليك بالإيمان بوجودك ويتحرك على وفق ذلك الانتساب بسر الإسلام، فليس الفناء والزوال ولا الموت والعدم إلا ستائر للتجديد، وإلا وسيلة للتجول في منازل مختلفة والسير فيها..

فانقلبت بهذا التفكير تلك الحالة الروحية المحرقة الحزينة وتلك الحالة المظلمة المرعبة إلى حالة مسرة بهيجة ولذيذة وإلى حالة منورة محبوبة مؤنسة فأصبح لساني وقلبي بل كل ذرة من ذرات جسمي يردد بلسان الحال قائلا: الحمد لله".

النورسي وقواعد الإنفاق

كان الأستاذ سعيد النورسي عزيز النفس، لا يقبل من أحد أي لون من ألوان العون المالي. كان يعتمد في حياته على بعض ما أدخره من المال، وكان يعيش حياة متقشفة لازمته في عمره كله، وقد بارك الله تعالى له في ذلك المال مما أغناه من الناس .

ويروى عنه عندما كان في منفاه "بوردور" أنه جاءه بعض رؤساء العشائر الذين نفوا معه إلى الأناضول، وعرضوا عليه أن يقبل زكاة أموالهم حتى لا يقع في ذل الحاجة، وذلك لعلمهم بقلة ما معه من المال. كان رد الأستاذ على عرضهم هذا درساً مهماً ينبغي التنبيه إليه.

قال لهم : "برغم أن نقودي قليلة جداً إلا أنني أملك الاقتصاد، وقد تعودت على القناعة، فأنا أغنى منكم بكثير."

إن هذا الموقف يذكرنا بقواعد نبوية في الإنفاق والغنى منها:

- " الغنى غنى النفس "
- و "ما عال من اقتصد "
- و "الاقتصاد في النفقة نصف العيش "

ويذكر الأستاذ النورسي أن بعض أولئك الشيوخ الذين عرضوا عليه زكاتهم قد افتقروا من بعد على كثرة أموالهم

وذلك بسبب إسرافهم، وعدم التزامهم الاقتصاد منهجا في الحياة .
أما هو فقد كفته نقوده التي كانت معه سبع سنين بعد عرضهم الزكاة عليه، ولم يحتج إلى الناس ولم يتعرض لذل الحاجة.

ويشير الأستاذ النورسي إلى أمر آخر مهم في جانب المال بالإضافة إلى منهج "الاقتصاد والقناعة" هو : البركة.

ومن ذلك أنه عندما نفي إلى مدينة إسبارطة في الشتاء لم يتمكن من رؤية منابع الثروة فيها، وقال له مفتي المدينة يومها : " إن أهالينا فقراء مساكين " وأعاد المفتي هذا القول مرارا حتى ظنه الأستاذ النورسي حقا ! ، ويبدو أن الأستاذ النورسي خرج من إسبارطة في ذلك الموسم الشتوي من غير أن يكتشف حقيقة وضعها المادي ، ثم عاد إليها مرة أخرى منفياً بعد ثماني سنوات في الصيف فرأى بساتينها العامرة بالخيرات وتذكر كلام المفتي، فوجد أن ثمرات البساتين وغلاتها كثير وكان حريا بأهلها أن يكونوا أثرياء جدا ، فلماذا الشكوى من الفقر؟!.

كان جوابه على ذلك: إن البركة قد رفعت من المدينة بسبب الإسراف وعدم الاقتصاد.

وقال: " إن التجربة والرجوع إلى وقائع لا تحد تثبت أن دفع الزكاة والأخذ بالاقتصاد سببان للبركة والاستزادة، بينما الإسراف ومنع الزكاة يرفعان البركة."

سعيد النورسي في بارلا

امتدت إقامة الأستاذ سعيد النورسي في قرية «بارلا» قرب إسبارطة من الشهر الثالث عام ١٩٢٧ حتى عام ١٩٣٤. ولم يسلم في هذه المدة من المراقبة وألوان من الأذى، لكنه صبر واحتسب وعمل ما رآه مناسبا للحال التي كان فيها والظروف التي كانت تمر بها بلاده.

خصص له بيت صغير مكون من غرفتين تطلان على مروج «بارلا» وصنع له أحد النجارين غرفة فوق شجرة كانت أمام البيت، كان يقضي فيها اغلب أوقاته في الصيف والربيع متأملا في آيات الله، يصلي ويذكر ويتفكر، وكان يمضي معظم الليل حتى ظهور الصبح في تأملاته وعبادته.

وكان من خصائص الأستاذ النورسي البساطة في الحياة، فلم يكن يسرف في لباس أو طعام. كان يعيش على حساء يصنعه له أهل بيت مجاور يأكله مع قليل من الخبز، وكان يدفع ثمن الطعام، ذلك أنه اتخذ لنفسه قاعدة في حياته ألا يقبل من احد هدية أو عطية لأسباب بينها في كتابه «المكتوبات».

ومع هذه العزلة التي كان فيها، كانت عيون السلطة تراقبه، ولذلك كان أهالي القرية يتجنبون الاتصال به، مما ساعده على الخلوة والتأمل.

وقد روى الأســتاذ بعض ما لقيه من المضــايقات فقد كان يصلي الجماعة في مسجد عمره بنفسه ومعه ثلة من المؤمنين الذين أحبوه من أهل بارلا، وكان الأذان والإقامة في هذا المسجد باللغة العربية خلافا للقوانين الصادرة في الدولة.

وجاءه من يحاسبه هو ومن معه على ذلك.

جاء الأمر باعتقاله ومن معه وجلبهم إلى مســؤول الأمن في القرية، وكان رجال الشــرطة الذين جاؤوا لأخذه إلى مســؤول الأمن عقلاء متزنين، فانتظروا حتى أتم الأستاذ النورسي ومن معه الصلاة والأذكار التي بعدها، وغضب عليهم بسبب ذلك مسؤول الأمن ، وأرســل وراءهم من يتحقق من أمرهم لتأخرهم في جلب النورسي ومن معه.

كان منهج الأســتاذ النورســي في هذه المواقف الحرجة ما تبينه وصيته لإخوانه:

"لا تتشــغلوا بهؤلاء ما لم تكن هناك ضــرورة قاطعة، بل ترفعوا عن التكلم معهم، حيث جواب الأحمق السكوت"

وكان يوصــيهم أن يتصــرفوا بحذر حســب الموقف لئلا يستغل الموالون للزندقة عدم مبالاتهم أو غفلتهم.

لقد خطر ببال الأســتاذ النورســي وهو أســير في روســيا أن يعتزل النـاس ذات يوم في مغارة، وأن يبتعد عنهم، فتحقق له ذلك

بالنفي إلى «بارلا»، ولم يشـــــــمله من بعد ما شمل المنفيين من مواطنهم بعد ثورة الشيخ سعيد بيران من السماح لهم بالعودة إلى ديـارهم، ولم يعط وثيقـة تمكنـه من العودة فبقي في غربتـه، لكنها كانت غربة مع أنوار القرآن الكريم في ســـــــــكون وطمأنينة جعلت حياته الباطنية مختلفة عما كان يظنه الذين نفوه، وضــيقوا عليه فلم يســمحوا لأقاربه وأهل بلدته بزيارته إلا واحدا أو اثنين.

وكان هناك من يكســـــر عزلته من أحبابه فيزوره منهم ضيف أو ضيفان في كل عشرة أيام أو عشرين يوما أو في الشهر، وكان ذلك مبعث مضايقة من السلطة له.

النورسي وطوفان الإلحاد

تعرضت تركيا في الفترة الواقعة بين سنة ١٩٢٢م وسنة ١٩٤٠م إلى مجموعة من الأحداث التي غيرت وجهها، وحولتها من دولة خلافة إلى دولة علمانية تحارب الدين وتسعى إلى محو كل مظاهره.

- ❖ في ١ ـ ١١ ـ ١٩٢٢م ألغيت السلطنة.
- ❖ وفي ٣ ـ ٣ ـ ١٩٢٤م ألغيت الخلافة.
- ❖ وفي السنة نفسها ألغيت وزارة الأوقاف والمحاكم الشرعية.
- ❖ وفي عام ١٩٢٥ أقر قانون يجبر موظفي المساجد على ارتداء الملابس الأوروبية.
- ❖ وفي عام ١٩٢٦ ألغي الزواج الإسلامي وأقر الزواج المدني وحرم الطلاق وألغي المهر، ونظام الإرث الإسلامي واعتمد القانون المدني الأوروبي.
- ❖ وفي عام ١٩٢٧م ألغي كل ما له صلة بالدولة العثمانية.
- ❖ وفي عام ١٩٢٨م ألقيت أول خطبة جمعة باللغة التركية.

- وحذف اسم الله تعالى من القسم الذي يؤديه رجال الدولة.
- وحذفت جملة: «دين الدولة الرسمي الإسلام».
- وألغيت الحروف العربية واستخدمت الحروف اللاتينية.
- وفي عام ١٩٣٢م قرئ القرآن المترجم إلى التركية، وفرض الأذان والإقامة بالتركية ومنعت اللغة العربية.
- وفي عام ١٩٣٥م جعل يوم الأحد عطلة بدلا من يوم الجمعة.
- وحول مسجد أيا صوفيا إلى متحف.

كل هذه الأحداث الجسيمة وما يتصل بها وما لها من ردود فعل كانت كالأمواج العاصفة التي ضربت المجتمع التركي.

وقد أصاب الأستاذ سعيد النورسي آثار هذه العاصفة، ومن ذلك اعتقاله وإرساله إلى قرية «بارلا» قرب إسبارطة. وكان الهدف من نفيه أن يطويه النسيان، ويبعد عن تلامذته ويمنع من نشر العلم والهدى. لكن الذي حدث هو عكس ما أراده أعداؤه، لأنه وجد في هذه القرية خلوة ساعدته على الصلة بالقرآن الكريم، والاستمداد من أنواره، فكانت ثمرة عزلته الطويلة

حتى نهاية حياته، في مواطن متعددة نفي إليها، كانت الثمرة رسائل النور التي واجهت طغيان ليل الإلحاد الذي كان له دعاة ومروجون يسعون إلى اقتلاع الإيمان من قلوب الأتراك.

وقد كان تلامذته ومحبوه يتناقلون ما يكتبه من الرسائل، ويعكفون على كتابتها ونشرها بين الناس، فشاء الله تعالى أن تكون تلك القرية الصغيرة النائية «بارلا» مصدر إشعاع إسلامي أضاء أرجاء تركيا بل العالم من بعد حين ترجمت الرسائل إلى لغات عديدة .

وقد وصف الأستاذ سعيد النورسي حاله في «بارلا» فقال:

"وحسبوا أنهم قد حبسوني في قرية إلا أن تلك القرية (بارلا) وأنف الزندقة راغم قد أصبحت كرسي الدرس بفضل الله وبخلاف مأمولهم".

النورسي والتذوق الكوني

يمتلك الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله قدرة فريدة على التذوق، لا تذوق الكلام وحده فحسب، بل تذوق الكون باعتباره مجلى الآيات الربانية، ومجلى الأسماء الحسنى.

وهو ذو ذاكرة حافظة، تستحضر النصوص المختلفة عند الحاجة إليها. وها هو يحدثنا عن لحظات تأمل في الطبيعة الساحرة التي كانت تلوح له من قمة جبل "بارلا" المنفى الذي تحول إلى مدرسة للنور.

كان ينظر في أنواع الأشجار التي تلوح له ، يتأمل هيبة أوضاعها وروعة أشكالها وصورها، وقد هب نسيم عليل، فماذا تجلى للأستاذ النورسي؟

رأى أن هذا النسيم قد حول ذلك الوضع المهيب الرائع إلى أوضاع تسبيحات وذكر جذابة، واهتزازات نشوة شوق وتهليل.

وأخذت تخطر على باله أقوال الشاعر الكردي أحمد الجزري، ولنقف على ما تجلى له في هذا المشهد المهيب الجليل الجميل في هذا النص المقتبس الطويل :

" يا رب إن كل حي يتطلع من كل مكان فينظرون معا إلى حسنك، ويتأملون في روائع الأرض التي هي معرض صنعك،

فهم كالدعاة الأدلاء ينادون من كل مكان، من الأرض ومن السماوات العلى إلى جمالك".

ويمضي الأستاذ النورسي مستلهما ما قاله الجزري وهو يرى تجليات الآيات:

" أما الروح فقد تعلمت من هذه المشاهد أن الأشياء تتوجه إلى تجليات أسماء الصانع الجليل بالتسبيح والتهليل، فهي أصوات وأصداء تضرعاتها وتوسلاتها. أما القلب فانه يقرأ من النظم الرفيع لهذا الإعجاز، سر التوحيد في هذه الأشجار كأنها آيات مجسمات.

أي أن في خلق كل منها من خوارق النظام وإبداع الصنعة وإعجاز الحكمة، ما لو اتحدت أسباب الكون كلها، وأصبحت فاعلة مختارة، لعجزت عن تقليدها.

أما النفس فكلما شاهدت هذا الوضع للأشجار رأت كأن الوجود يتدحرج في دوامات الزوال والفراق، فتحرّت عن ذوق باق، فتلقت هذا المعنى: إنك ستجدين البقاء بترك عبادة الدنيا".

عظيمة هذه الأصوات اللطيفة المنبعثة من الأشجار والحيوانات معاً ومن أنداء الشجيرات والنسائم، وسيفهم أن كل شيء يسبح للصانع الجليل بجهات شتى.

أما هوى النفس فإنه يتلذذ ويستمتع من حفيف الأشجار، وهبوب النسيم ذوقاً لطيفاً ينسيها الأذواق المجازية كلها، حتى يريد أن يموت ويفنى في ذلك الذوق الحقيقي، واللذة الحقيقية بتركه الأذواق المجازية كلها، حتى إنه يريد أن يموت ويفنى في ذلك الذوق الحقيقي، واللذة الحقيقية بتركه الأذواق المجازية التي هي جوهر حياته.

أما الخيال فإنه يرى كأنه الملائكة الموكلين بهذه الأشجار قد دخلوا جذوعها ولبسوا أغصانها المالكة لقصيبات الناي لأنواع كثيرة، وكأن السلطان السرمدي قد ألبسهم هذه الأجساد في استعراض مهيب مع آلاف أنغام الناي كي تظهر تلك الأشجار أوضاع الشكر والامتنان له بشعور تام، لا أجساد ميتة فاقدة الشعور.

فتلك النايات مؤثرة الأنغام صافيتها وهي تخرج أصواتاً لطيفة كأنها منبعثة من موسيقى سماوية علوية، فلا يسمع الفكر منها شكاوى آلام الفراق والزوال، كما يسمعها من العشاق ... بل يسمع أنواع الشكر للمنعم الرحمن وأنواع الحمد تقدم إلى الحي القيوم.

وإذ صارت الأشجار أجساداً فقد صارت الأوراق كذلك السنة كل منها تردد بآلاف الألسنة ذكر الله بـ: هو.. هو.. بمجرد

مس الهواء لها وتعلن بتحيات حياتها إلى صانعها الحي القيوم.. لأن جميع الأشـــياء تقول: لا اله إلا هو وتعمل ضـــمن حلقة ذكر الكائنات العظمى. "

ألم أقل لكم إن الأســتاذ النورســي يملك قدرة على تذوق هذا الكون الذي لا يكشـــف ظواهر المخلوقات بل يتعداه على جماله إلى بواطنها ، فيعيش مع الكون بأبعاده المختلفة مخترقاً الظاهر إلى الباطن، وغائصا في أعماق الذرات ، ومحلقا في آفاق المجرات ، ومستثمراً كل حواسه في هذا التذوق الذي لا ينتهي، والذي لا يمل منه المتذوقون.

رسالة الحشر وموجة الإلحاد

كان من ثمرة النفي الذي تعرض له الأستاذ سعيد النورسي أن فتح اللّه تعالى عليه أنوارا قرآنية عرفت برســـــائل النور. لقد كانت هذه الرســـائل ثمرة تدبر القرآن الكريم، وكان لها اثر كبير في مواجهة موجة الإلحاد التي عمت تركيا بعد ســـــقوط الخلافة وقيام الحكم العلماني.

لقد كان الأســـتاذ ســـعيد النورســـي يتأمل أسماء اللّه الحســـــنى، وقد ذكر في رســـالة من رســـائله التي سماها «المكتوبات» أن اللّه تعالى أكرمه بتجليات اسمه : الرحيم، واسمه : الحكيم. وقد بين أن الجزء الأول من رســائل النور التي عرفت «بالكلمات»

"إنما هي جلوات تلك الخطوة «باســـم اللّه الرحيم واسمه الحكيم ، نرجو من اللّه تعالى أن تكون نائلة لمضــــمون الآية الكريمة «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا".

ومن أوائل رسائل النور «رسالة الحشر» هذه الرسالة التي كانت فيضا من فيوض تأملاته في قوله تعالى :

«فانظر إلى آثار رحمة اللّه كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير».

لقد كرر هذه الآية قريبا من أربعين مرة وهو يتجول على ســاحل بحيرة «أغريدر» ويتأمل ما في الجبال والســفوح من آثار رحمة اللّه، وما فيها من أدلة على البعث بعد الموت.وقد أملى تلك الرســالة على أحد طلابه، وبين فيها اثنتي عشــرة حقيقة تثبت الحشــر والبعث بعد الموت في أســلوب قريب من الفهم، بعيد عن التعقيد.

وقال عن تلك الرسالة رابطا إياها بالجو العام الذي كانت تعيشه بلاده:

"ولقد دفعت هذه الرسالة بلاء كبيرا، فبسبب من فوضى الأفكار التي ســادت، وبســبب من الهزات التي ســببتها الحرب العالمية فقد وجد المنافقون الذين ينكرون الحشر الفرصة سانحة لهم، وبدأوا بإظهار أفكارهم المسمومة في كثير من الأماكن»

لقد طبع من رسالة الحشر ألف نسخة أول مرة، ووزعت في مختلف الأنحاء في تركيا، وكانت لها آثار طيبة في قصــم ظهر الإلحاد، بعد أن تداولها الناس.

ويقول الأستاذ سعيد النورسي عن هذه الرسالة إنها لا تُقرأ مرة واحدة، لأنها من العلوم الإيمانية التي تتجدد الحاجة إليها في كل وقت كحاجتنا إلى الخبز في كل يوم، ولذلك نجده وهو

الذي كتبها أو جرت على فكره ولسانه يقول أنه قرأها ما يقرب من خمسين مرة.

لقد فرض النفي على الأستاذ سعيد النورسي لكنه بقي في أنوار القرآن الكريم في معترك الحياة، وانتشرت «رسائل النور» التي كانت من فيض القرآن الكريم في حياته، ينسخها محبوه ويتداولونها قبل أن تأخذ طريقها إلى المطبعة.

ولعل سائلا يسأل:

لماذا سميت تلك الرسائل برسائل النور؟

رسائل النور

«رسـائل النور» اسـم مقترن ببديع الزمان سـعيد النورسـي، وهي التراث الذي بقي من بعده، ولقي قبولا ورواجا في حياته وبعد مماته، ويحدثنا الأستاذ سعيد النورسي عن طبيعة هذه الرسائل وسبب تسميتها، فهو لا يدعي أنها ثمرة فكره، بل يرى أنها: «إلهام إلهي أفاضه الله سبحانه على قلبي من نور القرآن فباركت كل من استنسخها».

وكانت هذه الإلهامات في المنافي التي أجبر على الانتقال إليها من مدينة إلى أخرى، وفيها: «تولدت من صميم قلبي معان جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم، أمليتها على من حولي من الأشخاص، تلك الرسائل التي أطلقت عليها اسم «رسائل النور»، إنها انبعثت حقا من نور القرآن الكريم».

لقد امتدت المدة الزمنية لهذه الرسائل، مع ما مُدّ به من الأجل، حتى صدرت في صورتها الأخيرة في تسعة مجلدات، حمل كل مجلد منها اسما خاصا: الكلمات، والمكتوبات، واللمعات، والشعاعات، وإشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، والمثنوي العربي، والملاحق، وصيقل الإسلام، وسيرة ذاتية.

لقد كانت هذه الرسائل نورا حقيقيا أضاء ظلمة الزندقة والإلحاد التي خيمت على تركيا بعد سقوط الخلافة الإسلامية،

وهبوب عاصفة هوجاء أرادت أن تقطع تركيا عن ماضيها الديني واللغوي والتاريخي، ولذلك حوربت كل مظاهر التدين، وحوربت اللغة العثمانية التي كانت مكتوبة بحروف عربية، وتمت إشاعة العادات الغربية، وأنماط السلوك المادية.

يحدثنا الأستاذ سعيد النورسي عن سبب تسمية هذه الرسائل باسم رسائل النور فيقول:

«إن كلمة النور قد جابهتني في كل مكان طوال حياتي، منها:

- ❖ قريتي: اسمها نورس.
- ❖ اسم والدتي المرحومة: نورية.
- ❖ وأستاذي في الطريقة النقشبندية: سيد نور محمد.
- ❖ وأستاذي في الطريقة القادرية: نور الدين.
- ❖ وأستاذي في القرآن: نوري.
- ❖ وأكثر ما يلازمني من طلابي من يسمون باسم نور.
- ❖ وأكثر ما يوضح كتبي وينورها هو التمثيلات النورية.
- ❖ وأول آية كريمة التمعت لعقلي وقلبي وشغلت فكري هي:

«اللّه نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة»

❖ وأكثر ما حل مشـــكلاتي في الحقائق الإلهية هو اسم: النور من الأسماء الحسنى، ولشدة شوقي نحو القرآن وانحصار خدمتي فيه فإن إمامي الخاص هو سيدنا عثمان ذو النورين رضي اللّه عنه».

إن الناظر في رسائل النور يجد أن كل رسالة منها مستوحاة من آية قرآنية، هي شرح لها، واستيحاء منها، وعيش في أنوارها.

فجزى اللّه الأستاذ سعيد النورسي، رحمه الله، خيرا على هذه الرسـائل التي فاضت على قلبه، وجزى خيرا كل من نسخها وطبعها وترجمها وأسـهم في نشـرها، لينتشـر نور القرآن في قلوب العالمين.

رسائل النور في عين مؤلفها

حديث الإنســـــان عما يؤلفه من الكتب قد يدخل في باب الغرور، وذلك إذا كان إعجاباً بالذات، واعتزازا بما جرى به قلمه، أو أنتجه فكره. والأمر مع الأستاذ سعيد النورسي ، رحمه الله ، ورسائل النور مختلف، لأن الأستاذ النورسي، يعدّ نفسه تلميذا لرســـــائل النور، مع أنه ألهمها ، وكان يقرؤها ويعيد قراءتها أكثر مما يفعل غيره، استفادة منها ، واستنارة بها. ولذلك نجده يتحدث عنها حديث من يدرك نعمة اللّه عليه فيها ، وهي من أعظم نعم اللّه عليه، لأنه لم ينل من الدنيا ما ناله أهلها ، من رخاء العيش، وسعة المنزل، وكثرة المال والولد ،مع أن ذلك كان متاحا له لو أراد ، بل عاش جزءا كبيرا من عمره منفيا محاصرا. ومما قاله عن رسائل النور:

«إن الرسائل ليست ملكي، ولا مني، بل هي ملك القرآن، لذا أراني مضـطرا إلى بيان أنها نالت رشـحات من مزايا القرآن العظيم «...» ولو بلغ صــــوتي أرجاء العالم لكنت أقول بكل ما أوتيت من قوة : إن «الكلمات» (وهي الجزء الأول من رســـــائل النور) جميلة رائعة، وهي حقائق، وأنها ليســـت مني، وإنما هي شعاعات التمعت من حقائق القرآن الكريم، فلم أجمّل أنا حقائق

القرآن، بل لم أتمكن من إظهار جمالها، وإنما الحقائق الجميلة للقرآن هي التي جمّلت عباراتي ورفعت من شـأنها" بل إنه يرى أن هذه الرسـائل من آثار إعجاز القرآن الكريم، لأنه نظر إلى حاله فرأى أن هذه الرسـائل لا يمكن أن تكون ثمرة جهده الذاتي، قال رحمه اللّه :

"أليس إذن ظهور الأكثرية المطلقة لتلك الحقائق بدقائقها لشخص مثلي مشوش الذهن، مشتت الحال، لا مرجع ولا مصدر لديه من الكتب، ويتم التأليف في سـرعة، وفي أوقات الضـيق والشـدة، أقول: أليس ذلك أثرا من آثار الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم، وجلوه من جلوات العناية الربانية وإشارة غيبية قوية؟"

هذا الكلام من الأسـتاذ سـعيد النورسـي ليس تواضـعا وليس غرورا، بل هو تحدث بنعمة اللّه التي لمسها بيده، وكانت له حقيقة حية، وهو لا يمل من تكرارها، ومن ذلك قوله :

« لقد أنعم اللّه عليّ بتأليف سـتين رسـالة بهذا النمط من الإنعام والإحسـان، إذ من كان مثلي ممن يفكر قليلاً ويتتبع السنوح القلبي، ولايجد متسعاً من الوقت للتدقيق والبحث، يتم في يده تأليف مالا يقدر على تأليفه جماعة من العلماء والعباقرة مع سـعيهم الدائب، فتأليفها إذن على ذلك الوجه يدّل على أنها أثر عناية إلهية مباشـرة، لأن جميع الحقائق العميقة الدقيقة في هذه

الرسائل كلها تُفهَّم وتدرّس إلى عوام الناس وأكثرهم أمية بوساطة التمثيلات. مع أن علماء أجلاء قالوا عن أكثر تلك الحقائق أنها لا تعلّم ولا تدرس، فلم يعلّموها للعوام وحدهم، ولا للخواص أيضاً."

ويمضي الأستاذ النورسي يتلمس آثار العناية الإلهية في تأليف رسائل النور فيجد أنها على انتشارها لم تتعرض للنقد السلبي، من العلماء أو العوام، ومن الأولياء أو الفلاسفة والملحدين، ويستنتج من ذلك ما يلي: «أقول إن كل ذلك ليس إلا أثر عناية ربانية وكرامة قرآنية، ثم إن تلك الأنماط من الرسائل التي لا تؤلف إلا بعد بحث دقيق، وتحرّ عميق، فإن كتابتها وإملاءها بسرعة فوق المعتاد أثناء انقباض وضيق. وهما يشوشان أفكاري وإدراكي أثر عناية ربانية وإكرام إلهي ليس إلا.."وأنا أقول: إن قارئ رسائل النور بتدبر وإقبال يجد فيها من العلم ما لا يجده في غيرها، من الجلاء والبيان، وصدق البرهان، وقرب المعنى، بالتمثيلات التي تقرِّب المعنى البعيد، وتجلو المعنى الغامض.

رسائل النور والتجربة الفريدة

كان لرسائل النور مجموعة خصوصيات تفردت بها، منها ظروف كتابتها أو إملائها في غربة طويلة، ومناف متعددة، وحصار للأستاذ سعيد النورسي يحد من صلته بالناس. لكن اللّه سبحانه وتعالى قد سخر لهذه الرسائل السبيل إلى أيدي الناس وقلوبهم وعقولهم.

لقد كان الأستاذ سعيد النورسي كما وصف نفسه «نصف أمي» لا يحسن الكتابة ويجد صعوبة فيها، على علمه وفضله، وكان حين يتيسر له يملي رسائل النور على طلابه، ولم يتيسر لهذه الرسائل أن ترى النور مطبوعة إلا في سنة ١٩٥٦م.

وقبل ذلك كانت تنتشر بين الناس في تركيا بطريقة النسخ اليدوي في البداية وبطريقة «آلة النسخ» أحيانا أخرى. وقد يسر اللّه تعالى لرسائل النور «جيشا» من النساخ الذين رأوا فيها نورا يضيء حياتهم. وقد كانت تكتب بالحروف العربية التي كانت عليها اللغة العثمانية، قبل تبديلها، وحظر الطبع بها، بل أغلقت المطابع التي تطبع بالحروف العربية، ضمن السياسة التي حاربت كل ما له صلة بالإسلام والعربية ، ولذلك كان النسخ اليدوي هو الوسيلة الأنجح في نشر الرسائل. وكان من دواعي النسخ أن

هذه الرسائل صارت تقرأ في حلقات خاصة، ويستتار بها في تلك الظلمات التي هبت على تركيا تريد اجتثاث الإسلام من جذوره.

ونعجب ونحن نقرأ في سيرة الأستاذ بديع الزمان النورسي أن عشرات ثم مئات ثم آلافا من «طلبة النور» رجالا ونساء سخروا أنفسهم لنسخ الرسائل، بل إن بعضهم تفرغ في البيت لهذه الغاية، وصارت شغله الشاغل. بل إن بعض النساء جئن إلى بديع الزمان سعيد النورسي وأبلغنه أنهن قررن القيام بالأعمال اليومية التي كان يقوم بها أزواجهن وذلك ليفرغنهم لنسخ رسائل النور. وذلك ثمرة من ثمرات الإخلاص التي تجلت في هذه الرسائل.

وقد صور النورسي هذا الأمر في فقرات منها قوله :«وحيث إنني أرى إخوتي الذين يلازمونني في الخدمة دائما، ولا يغادرون بالي أبدا يسعون للعمل لرسائل النور ويتبنونها بجدية تامة، ويحافظون عليها، ويتوارثونها مثلكم ناشدين الحقيقية، مقدرين كل شيء حق قدره، أراهم في موضعي وهم أكثر إخلاصاً مني وأصلب عودا، وأنشط في خدمة القرآن والإيمان، ولذا أنتظر أجلي وقبري وموتي بفرح تام وسرور خالص واطمئنان قلبي كامل».

□

ومنها قوله :

"إن اللّه ســبحانه وتعالى قد أنعم علي بإخوة أقوياء جادين، مخلصــين غيورين، مضــحين، لهم أقلام كالســيوف الألماســية، ودفعهم ليعاونوا شـخصـا مثلي لا يجيد الكتابة، نصـف أمي، في ديار الغربة، مهجور ممنوع عن الاختلاط بالناس، وحمل سـبحانه كواهلهم القوية ما أثقل ظهري الضـعيف العاجز من ثقل الخدمة القرآنية مخففا بفضله وكرمه سبحانه حملي الثقيل.

نعم، هكذا تداول الناس رسائل النور عند ولادتها، لكنها اليوم مترجمة إلى اللغات الحية في الأرض ينتفع بها الناس بما لم يخطر ببال من حاصروا صاحبها، وآذوه كثيرا بسببها.

سعيد النورسي في السجن

لم تشفع للأستاذ سعيد النورسي عزلته، ولم يحل منفاه بينه وبين الملاحقة والمتابعة لكل صغيرة وكبيرة من أحواله. كان العلمانيون الجدد يراقبون رسائل النور، ويزعجهم انتشارها، وتخيفهم مجالس دراستها. وقد أسفرت المتابعة والمراقبة عن لائحة اتهام طويلة تضمنت اتهامه بتشكيل جمعية سرية، والقيام بأعمال ضد النظام تهدد أسسه. وهذا يعني أنه يخطط لانقلاب ضد الجمهورية الناشئة. وكان من ثمرة ذلك أن ألقي القبض عليه، ووضعت الأغلال في يديه ، وألقي هو ومئة وعشرون من طلابه في سجن «أسكي شهر» في سجن انفرادي ، وأوذوا إيذاء شديدا. وجمعت رسائل النور من بيوت طلاب النور.

وأسفرت المحاكمة عن الحكم على الأستاذ سعيد النورسي بالسجن أحد عشر شهرا، وعلى خمسة عشر من طلاب النور بستة أشهر، وأطلق سراح الباقي.

وقد ورد في الجزء التاسع من رسائل النور: ««سيرة ذاتية» دفاع الأستاذ النورسي في تلك المحكمة، وبلغت صفحاته أكثر من ثلاثين صفحة، فند فيها التهم الموجهة إليه، واعترض على الحكم الصادر عليه، وطالب بالبراءة أو الحكم بالإعدام أو

السجن مئة سنة إشارة إلى التهم الكبيرة المنسوبة إليه، والحكم الذي رأى أنه يصلح لسارق بغل أو مختطف بنت.!!

لقد أشار في دفاعه إلى اعتزاله السياسة منذ سنوات فلم يكن يقرأ الجرائد، وشكا من الظلم الذي وقع عليه بالنفي من بلده في شرق الأناضول. ورد دعواهم بأن رسائل النور تقف سدا أمام مبدأ التحرر وتخل بالأمن العام، بقوله: إن رسائل النور نور، ولا يتولد ضرر من النور. وأشار إلى أن رسائل النور تؤسس الأمن والنظام، لأن الإيمان هو منبع الخلق الحسن والخصال الحميدة.

وأشار إلى ما نذر له نفسه فقال " واعلموا أن وزير المستعمرات البريطاني قال قبل ما يقرب من ثلاثين عاماً: إننا لن نستطيع أن نحكم المسلمين حقا ما دام هذا القرآن في أيديهم، فينبغي أن نسعى لرفعه وتضييعه"

وعلق على ذلك بقوله:

"إن كلام هذا الكافر العنيد حوّل نظري منذ ثلاثين سنة إلى فلاسفة أوروبا، فأنا أجاهدهم بعد جهاد نفسي، ولا ألتفت إلى ما في الداخل، إذ أرى النقص والتقصير في الداخل هو نتيجة ضلال أوروبا وإفسادهم.. فللّه الحمد أن رسائل النور خيبت آمال أولئك الكفار العنيدين مثلما أسكتت الفلاسفة الماديين الطبيعيين. "

ويرد على نعتهم له «بالكردي» وادعائهم معاداته للأتراك فيبين لهم منزلة الأتراك العالية في نفسه لأنهم أشد أبطال الجيوش الإسلامية شجاعة. وينقد دعاوى القومية التركية التي أرادوا أن يحاكموه بها.

لقد كان دفاع النورسي قويا لم يهادن، ولم يتخاذل بل قال كلمة الحق قوية، وحول محاكمته إلى محاكمة للإلحاد والمادية.

لقد أمضى النورسي في السجن قريبا من سنة، كانت كما سماها «المدرسة اليوسفيه الأولى» إشارة إلى سجن يوسف عليه السلام.

من منفى قسطموني إلى سجن دينزلي

بعد أن قضـى الأسـتاذ سـعيد النورسـي مدة السـجن التي صدرت بحقه في سجن أسكي شهر، نقل إلى منفى قسطموني في شمال الأناضول. وبقي موقوفاً في مركز الشـرطة في قسـطموني ثلاثة أشـهر، وكان ذلك سـببا لإقامة علاقة مودة مع بعض رجال الشـرطة الذين لفت حاله الإيماني انتباههم، فأخذو يسـمحون له بالتجوال في المدينـة، ولم يلزموه بخلع مـا اعتـاد عليـه من غطـاء الرأس وارتداء القبعة الأوروبية.

وقد سخر الله له عدداً من الطلاب الذين أسهموا في رسائل النور ونشرها، وذلك بعد دخوله " المدرسة النورية " المقابلة لمركز الشرطة، وهناك بدأ من جديد في إكمال رسائل النور.

وقد بدأ طلبة المدارس الثانوية في قسطموني بالحضور إليه ليسألوه في مسائل الإيمان التي كانت محرمة عليهم في المناهج الدراسية التي حذف منها ذكر الله تعالى، ونسبت الأفعال فيها إلى الطبيعة وكان لتلك الجلسات آثار طيبة في أحياء الإيمان في قلوب كثير منهم.

ولم يفتر طلبة النور في هذه المرحلة من حياة الأستاذ النورسي التي امتدت من ١٩٣٦م - ١٩٤٣، لم يفتروا عن نسخ رسائل النور، ففي هذه السنوات الثماني استمر جهد النسخ وتعميم الرسائل في

القرى والمدن، وانتشرت في أنحاء تركيا متخطية الحواجز والرقباء وأعداء النور الذين كانوا يسعون إلى نشر الإلحاد.

وفي قسطموني كتب الأستاذ سعيد النورسي رسائل توجيهية إلى طلاب النور بلغت مئتين وخمساً وسبعين رسالة.

ومما ورد في إحدى الرسائل تحديد وظيفة المنتسب إلى رسائل النور : بكتابتها، ودعوة الآخرين إلى كتابتها، وتعزيز انتشارها ومن فعل ذلك قوي إيمانه بقراءتها وكتابتها والتفكر فيها.

وقد تحدث الأستاذ النورسي في مذكراته عن ((أبطال النور)) الذين سخروا حياتهم لنسخها ونشرها.

وبعد السنوات الثماني الخصبة التي كان فيها في قسطموني تحت المراقبة والمتابعة اشتد غيظ أعداء النور لما رأوا من الثمرات التي حققتها رسائل النور، فجددوا الحملة، وجهزوا اتهامات جديدة أملاً في إطفاء نور الإيمان، وسخروا لذلك بعض العلماء والمسؤولين، وبعض مشايخ الطرق الصوفية . وكانت التهمة هي: تأليف جمعية سرية، وتحريض الشعب على الحكومة العلمانية، ومحاولة قلب نظام الحكم، وتسمية مصطفى كمال بالدجال والسفياني.

وألقي به وبجمع من طلابه في سجن دينزلي في جنوبي الأناضول، ومكث فيه من شهر أيلول سنة ١٩٤٣ حتى شهر

حزيران ١٩٤٤، وفي السجن تجلت آثار رسائل النور، وسمى الأستاذ النورسي هذا السجن المدرسة اليوسفية الثانية.

وقد تعرض الأستاذ النورسي لمحاولة تسميم في هذا السجن كانت هي المرة الثالثة، للقضاء عليه ولكن كان الطعام المسموم من نصيب أحد تلامذته الحافظ علي الذي استشهد مسموماً.

لقد كان من ثمرات السجن توبة كثير من المسجونين من أصحاب الجرائم الذين ملأ الإيمان قلوبهم واستنارت بعد الظلمة.

سعيد النورسي في منفى أمير داغ

استمرت مضايقات الأستاذ النورسي فقد أفرج عنه من سجن دينزلي في منتصف شهر حزيران ١٩٤٤، ولكن هذا الإفراج لم يكن إعلان براءة، ولم يرافقه كف طلب. ولذلك صدر الأمر بنفيه إلى منطقة أخرى هي: أمير داغ . ولعل قصد من كانوا يتابعون الأستاذ النورسي بالنفي والمطاردة والسجن هو قطع العلاقة بينه وبين الناس، بعد أن رأوا آثار رسائل النور وتداولها، وانتشار مجالس قراءتها.

وقد سببت هذه المطاردة للأستاذ ضيقا شديدا، فقد كبرت سنه، وليس معه من يرافقه مرافقة دائمة لخدمته، إذ لم تكن له زوجة ولا ولد. وقد عبر عن ضيقه الشديد بهذه الحالة التي وصل إليها ووصف حاله بقوله:

" عندما كنت نزيل غرفة في أمير داغ تحت الإقامة الجبرية وحيدا فريدا كانت عيون الترصد تتعقبني وتضايقني دائما، فأتعذب منها أشد العذاب، حتى مللت الحياة نفسها، وتأسفت لخروجي من السجن، بل رغبت من كل قلبي في أن أعود إلى سجن دينزلي أو أدخل القبر، حيث السجن أو القبر أفضل من هذا اللون من الحياة.."

وقد بين أن يوما واحدا تحت هذه المضـــايقة أشــد عليه من شهر كامل في السجن.

لقد كان يحس بمرارة شديدة لما يلقاه من قومه، وهو الذي برأت ساحته ثلاث محاكم، ودرست رسائل النور فلم تجد اللجان التي درستها أي مخالفة فيها. كان يرى أن هناك «منظمة سرية في البلاد» تعمل في خدمة الأجنبي تحارب رســائل النور، وتســعى إلى إخراجه عن صمته، وعودته إلى التدخل في أمور الدنيا ليتخذ ذلك مستمسكا ضده يقدم به إلى محكمة تدينه.

كـان يوجـه الخطـاب أحيـانـا إلى الحكومـة يبين حـالـه، والأثر الإيجابي لرسائل النور، لعلهم يكفون عنه.

وقد بين لهم أن بعض أصحاب السوابق الكبيرة في السجن ممن كانوا يستسهلون قتل الإنسـان لما تأثروا برسـائل النور صار واحدهم يتردد في قتل «بقة» الفراش.

كان الأســتاذ النورســي يتوقع من الحكومة أن تكرمه، وتحســن إليه، وتتركه يعيش في ســكينة وســلام في شـيخوخته، وكان يرى أن تجريده من الحقوق الإنســـــــــانية ظلم وعذاب مضاعفان وغدر وخيانة للأمة.

كان الأســتاذ النورســي يرى أنه كلما ازدادت المضــايقات لرســـائل النور قويت وانتشـــرت وازداد تلاميذها. ولئن نال الأذى

والعذاب والضـيق الأسـتاذ النورسـي من بعض رجال الحكومة، فقد كان يرى الأثر الطيب لرسائل النور في الأمة كلها ويستبشر بذلك.

وكان اللّه تعالى يهيئ له في كل منفى يحل فيه من يحنو عليه، ويرعاه رغم كل القيود والسدود، وذلك ما كان في أمير داغ حين تطوعت إحدى الأسر لتأمين راحته، بل وضعوا حارسا على باب غرفته. ومع ذلك فقد استمرت المؤامرات عليه، فمنع من الذهاب إلى المسجد، ودس له السم في طعامه، لمحاولة قتله بالسم.

واستمر الأستاذ النورسي في كتابة رسائل النور، ولم ينقطع عن مراسلة المسؤولين ومنهم وزير العدل وسكرتير حزب الشعب الجمهوري وغيره. ولم يفده ذلك شيئا في هذه المرحلة التي امتدت حتى نهاية الشهر الأول من عام ١٩٤٨ وانتهت بمحكمة جديدة وحكم جديد بالسجن في مدينة «أفيون» مدة عشرين شهرا.

سعيد النورسي والمدرسة اليوسفية

كان الأستاذ النورسي، الشيخ الذي جاوز السبعين من عمره في عام ١٩٤٨ يقود عبر سنوات عمره الأخيرة معركة شرسة، معركة لم يرفع فيها سيفا ولا رمحا، ولم يطلق رصاصة ولا قذيفة، كانت معركة شرسة لكنها صامتة، أداتها لدى الأستاذ النورسي التأمل والتدبر، والنظر والتفكر، وما ينتج عن ذلك من أنوار الهداية التي تتجلى في «رسائل النور». تلك الرسائل التي وصفها الأستاذ النورسي أكثر من مرة أنها تفسير للقرآن الكريم.

كانت رسائل النور التي ولدت في المنافي المتعددة، وفي ظل محاصرة ومطاردة، وإقامة جبرية وسجن، كانت تسري في أنحاء تركيا سريان النور في الليل المظلم، تتلقفها الأيدي فتنسخها وتدرسها وتستنير بها العقول والقلوب والحياة، وتتبدد ظلمات المادية التي كان «أعداء الدين» يسعون إلى نشرها، وتلك كانت المعركة الشرسة، وذلك ما أفقد «أعداء الدين» صوابهم. فهم بكل ما أوتوا من قوة وسلطة، وبما لديهم من أجهزة وأدوات، كانوا عاجزين عن مقاومة هذا الشيخ الكبير، الذي لقيت رسائله القبول لدى أعداد كبيرة من الناس.

ومع تتابع المحاكمات التي لم تثبت فيها جريمة يعاقب عليها هو أو طلبته لم ينقطع أعداء النور عن محاكمته ، وكانت المحاكمة الأخيرة في أفيون، التي حُكم فيها على الأستاذ النورسي بالسجن عشرين شهرا ، حكم بها القاضي عن قناعة وجدانية تفتقد الدليل المادي. ومع أن محكمة التمييز نقضت هذا الحكم، وما سبقه من حكمين في المحكمتين السابقتين، فإن المماطلة أدت إلى قضاء الأستاذ الحكم في السجن.

لقد تعرض الأستاذ النورسي ، رحمه الله ،إلى وسائل دنيئة في الكيد له :

منها محاولة تسميمه أكثر من مرة.

ومنها تعريضه للتوقيف في قاعة كبيرة في أفيون في درجات برد شديدة لم يكن يحتملها جسمه العليل، وكأنما كانوا يريدون القضاء عليه بهذا الإجراء.

ولم يكتفوا بذلك، بل أشاعوا إشاعات رخيصة لا تنطلي على عاقل، حين طلبوا من خادمه أن يشهد أنه اشترى له خمرا من أحد الحوانيت.!!!

وكان الأستاذ رحمه الله، وهو يتعرض للأذى ، يصبر ويكظم، ويرى الوجه الآخر للمحنة، بما يتجلى من المنح، بانتشار رسائل النور، حتى عند الموظفين الحكوميين الذين لفت

نظرهم الوقوف ضدها ومحاكمة صاحبها مما دفعهم إلى قراءتها ، وتأثر بعضهم بها.

واستمرت محنة رسائل النور حتى عام ١٩٥٦ حين صدر قرار بالسماح بطباعتها دون اعتراض. ولكن حياة الأستاذ النورسي بقيت محنا متتابعة، ومطاردة ومضايقة حتى آخر لحظة في حياته ، لا بل بعد وفاته !!.

سعيد النورسي وبداية الفرج

كان المنهج الذي اتبعه الأستاذ سعيد النورسي في مواجهة أمواج الظلمات التي غشيت تركيا، منهجا حكيما، لم يقف في مواجهة التيار وقوفا مباشرا، لكنه سعى إلى أسس بنيان الضلال فنقضها فانهارت على مراحل، شهد بعضها في حياته، وتجلت من بعد في مراحل أخرى ما زلنا نشهد آثارها في عودة الإسلام إلى المجتمع التركي بعد غربة امتدت عدة عقود .

لم يعط الأستاذ النورسي خصومه المسوغات التي تدفعهم إلى الحكم عليه بجريمة قانونية، ومع ذلك لم يعفوه من ذلك، وكانوا يطاردونه ويحاصرونه ويحاكمونه على الشبهة، وعلى أوهام تتراءى لهم. وقد بدأت ملامح الفرج بعد عام ١٩٥٠م حين آل الحكم إلى الحزب الديمقراطي، وفي تلك الفترة أرسل الأستاذ النورسي نسخة كاملة من رسائل النور إلى رئيس الشؤون الدينية مع رسالة رقيقة فيها تقدير للدور الذي يقوم به، مع أن الأستاذ النورسي كان من قبل يقف منه ومن أمثاله موقفا سلبيا، لكن بعض الخير الذي يتحقق على أيديهم جعله يقدر أدوارهم.

وأرسل الأستاذ النورسي عام ١٩٥٠م رسالة تهنئة إلى جلال بايار رئيس الجمهورية الجديد، الذي في عهده عاد الأذان الشرعي باللغة العربية بعد أن كان محظورا.

في هذه المرحلة أخذ الأستاذ النورسي يتحرك بشيء من الحرية، فبعد عودته إلى أمير داغ من أفيون زار أسكي شهر زيارة حرة من غير مراقبة.

ولكن أعداء رسائل النور لم يهدؤوا، ففي عام ١٩٥٢م قام بعض طلاب النور بطباعة رسالة «مرشد الشباب» بالحروف الجديدة «اللاتينية» وكان من آثار ذلك رفع دعوى عليهم لأنهم خالفوا مادة في القانون تحظر أي نشاط يهدف إلى إقامة دولة دينية. واستدعي الأستاذ النورسي للمثول أمام محكمة الجزاء الكبرى في إستانبول.وكانت التهمة الموجهة إليه وفق تقرير «الخبراء»: أن المؤلف يحاول في رسالته رسم طريق معين للشباب بوساطة هذه الأفكار، وأنه يدعو النساء إلى الاحتشام وعدم السير والتجوال بملابس تكشف عن أجسامهن، لأن ذلك يصادم الفطرة ويخالف الإسلام والآداب القرآنية.وأنه يدعو إلى تدريس الدين، وهو بذلك يدعو إلى إقامة دولة على أسس دينية.

ووقف الأستاذ النورسي في المحكمة ودافع دفاعا منطقيا إيمانيا ودافع عنه محاميه، وانتهت المحكمة بالبراءة كسابقتها من المحاكم الظالمة. وعاد الأستاذ بعد هذه البراءة إلى أمير داغ، ولكن ليوضع تحت المراقبة من جديد، ولتسبب له هذه المراقبة أزمة جديدة، ومتاعب جديدة، لم يسأم منها خصومه الذين لا يحبون النور، وكانوا يسعون إلى إطفاء إشعاع رسائل النور.

براءة رسائل النور

ارتبطت حياة سـعيد النورسـي برسـائل النور، وكانت محاكماته المتتابعة بسبب تلك الرسائل. وقد شكلت محكمة «أفيون» لجنة من الخبراء لتدقيق رسـائل النور، والنظر في خطرها، وذلك سنة ١٩٤٨م واستمرت المحكمة ثماني سنوات، وجاء تقرير الخبراء أنه ليس فيها ما يؤاخذ عليه القانون التركي، وصدرت البراءة بحقها سنة ١٩٥٦م.

وكان هذا القرار إيذانا بطباعة رسائل النور، واجتهد طلبة النور في هذا، في عدد من المدن، في إستانبول وأنقرة وصامسون، وأنطاليا. وكان الطلبة يأتون بالملازم المطبوعة إلى الأستاذ النورسي ليصححها. وكم كان فرحه رحمه اللّه بهذا الإنجاز.

لقد كان طلاب النور يتناقلونها منسوخة بالأيدي المباركة، وها هي تأخذ طريقها إلى المطبعة. ولذلك قال رحمه اللّه:

"هذا هو عيد رسائل النور، كنت أنتظر مثل هذا اليوم، لقد انتهت مهمتي إذن، وسأرحل قريبا ".

كأن ذلك سنة ١٩٥٦م، وبعد ذلك بسنة جرت انتخابات عامة في تركيا، وكان التنافس فيها بين حزبين رئيسيين: الحزب الديمقراطي الحاكم، وحزب الشعب الجمهوري المعارض.

ولم يكن أي من الحزبين إسلاميا، لكن وطأة الحزب الديمقراطي كانت أخف، فقد أشاع جوا من الحرية في تركيا جعل الحركات الإسلامية تميل إليه في التصويت دفعا لشر الحزب الجمهوري، وهذا ما فعله الأستاذ النورسي، وحث أتباعه عليه، بالتصويت للحزب الديمقراطي.

وبدأ العدّ التنازلي في حياة الأستاذ رحمه اللّه، وبدأ بسلسلة من الأسفار إلى مواقع عديدة في تركيا وكأنه كان يودع طلابه. ففي سنة ١٩٥٩م سافر إلى أنقرة تم أمير داغ، ثم قونيا، ثم أنقرة، ثم إستانبول في مطلع عام ١٩٦٠م، ورجع إلى أنقرة مرة أخرى، وألقى على طلابه الدرس الأخير، وأجرى معه مندوب جريدة التايمز تحقيقا صحفيا طويلا، ثم رجع إلى قونيا وفي اليوم نفسه توجه إلى إسبارطة.

هذه الحركة المتتابعة للشيخ الكبير، ولقاءاته بطلابه أثارت لدى أعداء الإسلام المخاوف، وكأنه كان يخطط لأمر مريب في نظرهم، ولم يروا في حركته وداعا لطلبته، فشنَّت عليه الصحف المعادية حملة عنيفة، واختلقت بحقه الأكاذيب، مما دفع الحكومة إلى أن تأذن له بالإقامة شهرا في أمير داغ وشهرا في إسبارطة. وفي الشهر الأول من عام ١٩٦٠م تنقل بين أمير داغ وإسبارطة وأفيون

الدرس الأخير قبل الرحيل

ألقى الأستاذ سعيد النورسي على طلبته الدرس الأخير قبل رحيله، وقد جسّد فيه ولخص تصوره للعمل الدعوي. وقال لطلبته:

" إن وظيفتنا هي العمل الايجابي وليس السعي للعمل السلبي الهدام، والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكل إلى اللّه تعالى.

وقد ميّز بين البلاء من الداخل والعدوان من الخارج. فهو يتلقى البلاء الداخلي بالصبر، مع الوقوف وقفات حازمة في مواجهة رموز الباطل، مع المحافظة على الأمن الداخلي الذي يمنع الفتنة والاقتتال. واستشهد بقول جلال الدين خوارزم شاه الذي وقف في وجه المغول:

"إن وظيفتي الخدمة الإيمانية أما النصر أو الهزيمة فمن اللّه سبحانه".

كان هذا موقف الأستاذ من البلاء الداخلي، أما العدوان الخارجي فهو يرى أن يواجه بالجهاد بالسلاح الذي يردعه.

والتفت الأستاذ رحمه اللّه إلى النزعة الاستهلاكية التي ولدتها المدنية الحديثة التي وصفها «بالدنية»، هذه المدنية التي جعلت الحاجات غير الضرورية حاجات ضرورية بالإدمان والاعتياد

والتقليد، مما جعل بعض الناس ينهمك في أمور الدنيا ويفضلها على الآخرة.

ودعا طلابه إلى عدم مهاجمة العلماء الذين ركنوا إلى البدع وغرقوا في بعض ما ظنوه من ضرورات الحياة، وأشار إلى تحمله الأذى، واستخدامه الأسلوب الإيجابي في مواجهة من عارضوه في أفكاره.

وأشار الأستاذ النورسي إلى دور رسائل النور وطلابها في الوقوف أمام انتشار موجة الكفر المطلق الذي تتبناه الدول الشيوعية، وهو يرى أن «إحدى المعجزات المعنوية للقرآن الحكيم أن قد منح هذا الدرس لطلاب رسائل النور ليكونوا سدا أمام الكفر المطلق والإرهاب، في هذا القرن، وحقا إن الرسائل قد أدت دورها».

وهو يرى أن الإيمان يفتح جنة تواجه جهنم الكفر، وقد شكر الله تعالى أن أحد الأحزاب السياسية - ويعني «الديمقراطي» - شعر إلى حد ما بأهمية رسائل النور ودورها الإيجابي فلم يمنع طباعتها، وتخلى عن مضايقة ناشريها.

وأبلغ طلابه أن مرضه قد اشتد، وأنه قد يرحل قريبا، أو يمنع من الاتصال بهم، وأوصاهم بالعمل الإيجابي دائما، لأن العمل السلبي ليس من وظيفتهم، ولا يغتفر في الداخل، بل طلب

منهم أن ينظروا إلى السـياسـيين المهادنين لهم على أنهم أهون الشرين، وبين لهم أنه سامح كل من أنزلوا به الأذى والمضايقات عبر ثلاثين سنة.

ونصح طلابه بالتخلي عن مرض العصر : «الأنانية» .."وما دام الإخلاص التام هو مسلكنا فبمقتضى الإخلاص التام لا بد من التضحية والفداء ليس بالأنانية فحسب، بل لو منحت سلطنة الدنيا يستوجب تفضيل مسألة إيمانية واحدة باقية على تلك السلطنة."

الرحيل والقبر المجهول

كانت وفاة الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله غريبة عجيبة، تضمنت مواقف ودلالات تستحق التوقف عندها.

في ١٩ ـ ٣ ـ ١٩٦٠م وكان يوم السبت غادر الأستاذ النورسي رحمه الله أميرداغ متوجها إلى اسبارطة. وقد جاء شرطي يسأل عنه قبل وصوله. كان المرض قد اشتد به، ويروي احد طلابه ما كان من شأنه منذ هذا اليوم حتى وفاته، وهو (بيرام يوكسل)، رحمه الله، وكان معه ثلاثة من أحبابه وطلابه: زبير وحسني وطاهري، عليهم رحمة الله، وتناوب الأربعة على رعايته في مرضه الشديد، وقد فاجأهم بالطلب منهم أن يذهبوا به إلى أورفه في ديار بكر، وظنوا أن هذا الطلب من غلبة الحرارة عليه، لكن تكراره وإصراره عليه دل على غير ذلك.

كان الوقت شهر رمضان والعشر الأواخر منه، وكانت المراقبة شديدة لتحركات الأستاذ النورسي، بل صدر أمر ببقائه في إسبارطة أو أميرداغ، ولكن الأستاذ أصر على السفر إلى أورفة في ٢٠ ـ ٣ ـ ١٩٦٠م وتم السفر في ظروف ماطرة، عمت على

الشـرطة الأخبار، وحاولوا معرفة الوجهة التي أنطلق إليها الأستاذ من صاحبة المنزل لكنها لم تخبرهم بشيء، ومر الأستاذ ومن معه في طريقهم من إسـبارطة إلى أورفه بعدد من المواقع منها أغريدر وقره أغاج وقونيا.

وكان الأسـتاذ يفتر عنه المرض حينا، وحينا يشـتد، ولم يسـتطع أن يأكل أو يشـرب، وكان يطمئنهم ويزيل خوفهم من الشـرطة، ويقول: أبنائي، لا تخافوا أبداً، فقد قصـمت رسـائل النور ظهور الملحدين والشيوعيين، فرسائل النور غالبة دائما بإذن الله . وقد كرر هذا القول عدة مرات.ومضـوا من موقع إلى آخر ووجهتهم أورفة التي أصر الأستاذ على التوجه إليها.

ووصل الأستاذ ومن معه أورفة يوم ٢٢ ـ ٣ ـ ١٩٦٠م وأنزلوه في أحد الفنادق، واشـتد به المرض، ولما سمع به أهل أورفة أخذوا في التوجه إلى الفندق لزيارته، وعلى عكس حاله من قبل حين لم يكن يرغب في لقاء الناس، فقد بدت عليه علامات الرضـى بزيارة أهل أورقة الذين كان يضم بعضهم إلى صدره، ويبدي لهم كل علامات المودة.

ولم يرض هذا الحال أعداء الأســـتاذ النورســـي، فجاء شرطيان بأمر يقضي بسفر الأستاذ رحمه الله إلى إسبارطة، وهاج الناس لهذا الأمر، وبخاصـــة أن الأســـتاذ كان شـــديد المرض، وتكرر الطلب، وتكرر هياج الناس، وهنا تدخل الطب فأعطى طبيب تقريرا يمنع من نقل الأســـتاذ إلى أي مكان بســـبب حالته التي لا تسـمح بذلك. وقد أصـاب الإرهاق مرافقي الأسـتاذ رحمه الله بسـبب السـفر وطول السـهر، فتناوبوا على شـيء من الراحة، ورعاية الأستاذ في ساعاته الأخيرة.

وكان الأسـتاذ قد طلب منذ الصـباح ثلجاً فلم يجدوه إلا في وقت متأخر، ولما عرض عليه رفضـــه، وعرضـــوا عليه الشـــاي فرفضـــه، وفي الليل غلبه المرض، ووضـــع يديه على صـــدره، واســـتسـلم للنوم، أو هكذا خيل إلى مرافقه، وكان الأمر أنه فارق الحياة، ولم يكتشف مرافقوه ذلك إلا بعد ساعات.

وانتشـــر الخبر في أنحاء تركيا، وأقبل من اســـتطاع على أورفة حتى ضاقت بمن فيها، وانسحب الشرطة من أمام الفندق لما تأكدوا من وفاته رحمه الله.

وأحصيت تركة الأستاذ ، رحمه الله ، فكانت: ساعة وسجادة ولفاف رأس وجبة. وأعطيت كلها لأخيه عبد المجيد. وطلب الوالي أن يدفن الأستاذ يوم الخميس ٢٣ ـ ٣ ـ ١٩٦٠م ولا يؤخر إلى يوم الجمعة لشدة زحام أورفة. لقد كان إصرار الأستاذ على التوجه إلى أورفة لإحساسه أن قبره فيها.

لكن أعداء النور ضاقوا به ذرعا وهو ميت، فبعد مرور خمسة أشهر جاؤوا بأخيه عبد المجيد وطلب منه ثلاثة جنرالات أن يوقع على طلب موجه منه إليهم بنقل جثمان أخيه من قبره، وحاول أن يرفض لكنه ألزم، ولما نبش القبر وجد أخوه شيئا عجيبا، فبعد هذه الاشهر كان جسده كأنه توفي أمس.

ووضع في تابوت حملته طائرة إلى أفيون، ثم نقل الجثمان إلى إسبارطة، ودفن فيها في مكان ما يزال مجهولا. وتحققت بذلك رغبة أبداها الأستاذ رحمه الله ألا يعرف الناس قبره.

كان الأستاذ رحمه الله حريصا في حياته على عدم لقاء الناس إلا لحاجة تتعلق بخدمة القرآن .

وكان حريصا على أن يرتبط الناس برسائل النور لا به شخصيا ، وكان يعلن لمن يريد لقاءه أن لقاءه يتم بقراءة تلك

الرســـــائل ، ويبدو أنه رحمه الله كان مدركا لطبيعة البشـــر وارتباطهم بقبور الصالحين ،واتخاذها مزارا ،وفي تركيا وسائر بلاد الإسـلام شـواهد على ذلك ، ولذلك دعا الله تعالى ألا يعرف مكان قبره حتى لا يتخذه الناس مزارا . وهذه قضية لابد أن يتنبه إليها طلاب النور فيمضوا على منهج الأستاذ رحمه الله بالاهتمام بالرســـائل لا به شـــخصـــيا ولا بآثاره والأماكن التي عاش فيها وارتبطت به ، حتى لا يتحول كل مكان ارتبط به إلى مزار أو مقام !! لا بأس من الزيارة لمعرفة مســـار الأســـتاذ رحمه الله في رحلة المعاناة، ومسيرة دعوة النور عبر رحلة طويلة زمانا ومكانا ، ولكن من غير غلو ، ومع استحضار دائم لمنهج الأستاذ رحمه الله بالارتباط بالقرآن الكريم ورسائل النور التي كشفت جوانب من إعجازه وقربت فهمه إلى أهل هذا العصر .

ولئن كان قبر الأســتاذ النورســي مجهولاً فإن أنوار رســائل النور قد عمت الخافقين، وترجمت إلى لغات شــتى وانتفع بها من الخلق ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

كلمة غير ختامية

كانت هذه الوقفات رحلة مع سيرة الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله،وقفنا فيها على محطات من حياته ، وإن لم نوفه حقه، لأن الغاية المقصودة هي تعريف عام به، قدمنا للقراء ملامح صورته وسيرته. وذلك بعض حقه على من اطلع على تلك السيرة.

فهو علم من أعلام الدعوة الإسلامية في القرن العشرين. ومن أراد الاستزادة والتفصيل فذلك ميسر متاح في : سيرة ذاتية ، الجزء التاسع من رسائل النور تلك السيرة التي استخلصها الأستاذ إحسان قاسم الصالحي من الرسائل وكتاب تاريخ حياة الذي أعد في حياة الأستاذ النورسي رحمه الله، وفي كتاب الشهود الأواخر الذي ألفه الأستاذ نجم الدين شاهينر وترجمه مأمون رشيد عاكف تفصيل دقيق عن دقائق حياته رحمه الله.

لقد كان لجهود الأستاذ النورسي في الدعوة، وثباته على الحق أثر كبير في تركيا أول الأمر، فقد انكسرت موجة الإلحاد التي هبت مع سقوط الخلافة العثمانية، تلك الموجة التي حاربت الدين ظاهرا وباطنا. فمنعت الأذان بالعربية، وغيرت حروف اللغة العثمانية إلى الحروف اللاتينية، ومنعت مظاهر اللباس «الإسلامي» وفرضت «البرنيطة» وسعت إلى منع الحجاب،

وفرضـت مناهج تفرغ المسـلم التركي من عقيدته ودينه بدعوى التحضر والعصرنة.

كل ذلك كان مخططا له، لكن الدعاة إلى الله، ومن أبرزهم في تلك المرحلة الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي ثبتوا على الحق، وجهروا بكلمة التوحيد. وكانت رسائل النور، التي كانت بحق نورا أزاح ظلمات موجة الكفر والإلحاد، وجذرت الهوية الإيمانية في قلوب المسلمين وواقعهم. فكانت كما وصفها الأستاذ النورسي تفسيرا للقرآن الكريم، وإحياء لصلة المؤمن بربه، ليعيش في نور القرآن ويتفاعل معه، ويكون إنسأنا ربانيا.

عاش الأستاذ النورسي حياة قاسية، من تشريد عن موطنه في شـرق الأناضـول، وإقامة جبرية في عزلة مفروضـة، ومحاكمات، ومراقبات، كان ذلك كله، لكن النور الذي عمر قلبه، وجرى على قلمه، جعل ذلك الألم الذي عاشـه زيتا في قناديل الإيمان التي أشـرقت في قلوب من وضـع الله حبه فيهم، فسخروا حياتهم، لرسائل النور، نسخا لها، وقراءة وتدبرا وعملا. ويكفي أن نعلم أن هذه الرسائل ترجمت إلى أكثر من أربعين لغة حتى الآن، وطبع منها باللغات المختلفة مئات الآلاف إن لم اقل الملايين. وها هي دور نشـر عديدة تنشـر نور رسـائل النور، وما

تجري به أقلام حامليها، وها هي مجلات عديدة، بلغات مختلفة تنشر في الآفاق نور رسائل النور.

كل ذلك كان ثمرة حياة كانت في ظاهرها مأساوية، ولكن كانت أساسا لدعوة امتدت في الآفاق، تحمل القرآن وأنواره إلى القلوب الظامئة إلى الإيمان. بعض الناس، الذين يطلعون على رسائل النور اطلاعا ظاهريا، أو يمرون سريعا ببعض سيرة بديع الزمان النورسي، يطلقون حكما ظالما عليه وعلى رسائله، فيقولون: إنه صوفي، وأن في رسائله صوفية !!! وأقول: كان الأستاذ النورسي في نشأته صوفيا، لكنه لم ينشئ طريقة صوفية. مع إنصافه للصوفية ، لكنه رأى أن العصر يحتاج إلى منهج آخر يجمع الحقيقة والشريعة، ويصلح الظاهر والباطن منهج يوحد القبلة، ويوحد المنهج، ولذلك عكف على القرآن الكريم، يقرؤه، وعلى الكون يتفكر فيه، فكانت رسائل النور، رحلة مع القرآن، وسياحة في الأكوان، تجعل الإنسان ابن عصره، يحمل رسالة الله فيه إلى العالمين ليؤدي دور الشهادة والتبليغ .

والأستاذ نفسه أعلن في أكثر من موضع في رسائل النور أن عصرنا هذا ليس عصر الطريقة الصوفية بل عصر الحقيقة القرآنية ، والطريق الذي ألهمه بفيض القرآن ذي الخطوات الأربع هو بديل عن الطريقة الصوفية ، يوصل العبد إلى الله تعالى من بوابة حقائق القرآن وهو مفتح العين والقلب والعقل .

أقرب طريق إلى الله

رضــوان اللّه هو غاية المؤمن، والوصــول إلى معرفته مطلب الحياة الأول، وقد سعى الإنسان منذ وجد إلى معرفة ربه، وكان الرســل هم الوســيلة المضــمونة التي تهدي الصــراط المســتقيم، واستعمل الناس عقولهم في معرفة ربهم.

ويرى بديع الزمان سعيد النورسـي أن للوصول إلى سبحانه وتعالى طرقا متعددة، وســبلا مختلفة، ومورد الطرق الحق ومنهل السـبل الصـائبة هو القرآن الكريم. ولاحظ الأسـتاذ النورسـي أن بعض الطرق أقرب من بعض.

وقد اســتفاد هو من صــلته بالقرآن الكريم طريقا قصــيرا وســبيلا ســويا لخصــه في أربع صــفات ينبغي أن يتصــف بها العبد للوصول إلى الله تعالى هي:

- " العجز والفقر والشفقة والتفكر.
- فالعجز يوصل إلى حب اللّه بطريق العبودية.
- والفقر يوصل إلى اسم اللّه الرحمن.
- والشفقة توصل إلى اسم اللّه الرحيم.
- والتفكر يوصل إلى اسم الله الحكيم."

ويدفع النورســي الوهم الذي قد يرد على من يقف على هذه الصفات فيقول:

"ولا يذهبن بكم سـوء الفهم إلى الخطأ، فالمقصـود بالعجز والفقر والتقصير أنما هو إظهار ذلك كله أمام اللّه سبحانه وليس إظهاره أمام الناس."

ولكل طريق أوراده، والأوراد هي ما يردده اللســـــان من الكلام الذي يستمد به الأنوار، ويستنزل به الحول والقوة من اللّه سـبحانه، ويتزود به في الطريق إلى اللّه. فليســت الأوراد كلمات تقال.

وبين الأسـتاذ النورسـي أوراد الطريق الذي اختاره وسـلكه فيقول: «أما أوراد هذا الطريق القصير وأذكاره فتنحصر في اتباع الســنة، والعمل بالفرائض، ولا ســيما إقامة الصـــلاة باعتدال الأركان، والعمل بالأذكار عقبها، وترك الكبائر."

ويقدم لكل صـــفة من الصـــفات التي تقود العبد إلى اللّه مستندا من الآيات الكريمة، فيقول:

"أما منابع هذه الخطوات من القرآن الكريم فهي:

❖ «فلا تزكوا أنفسكم»

تشير إلى الخطوة الأولى.

❖ و«لا تكونوا كالذين نسوا اللّه فأنساهم أنفسهم»

تشير الخطوة الثانية.

❖ «ما أصابك من حسنة فمن اللّه وما أصابك من سيئة فمن نفسك»

تشير إلى الخطوة الثالثة.

❖ «كل شيء هالك إلا وجهه»

تشير إلى الخطوة الرابعة."

ويبين هذه الخطوات ويربطها بالآيات فيقول:

"تشير الآية الكريمة إلى عدم تزكية النفس، لأن الإنسان بفطرته محب لنفسه، بل لا يحب إلا ذاته في المقدمة، ويمدح نفسه مدحا لا يليق إلا بالمعبود وحده، وينزه نفسه ولا يقبل لها التقصير، فكأنه يصرف لنفسه ما لا ينبغي إلا لله تعالى من حمد وتقديس فيصيبه وصف الآية الكريمة «من اتخذ إلهه هواه»."

ويقف على الآية الثانية فيرى أن الإنسان ينسى نفسه، ويغفل عنها، فيصرف الموت إلى غيره، ويدفع الفناء إلى الآخرين، ويجد نفسه الأمارة بالسوء تذكر ذاتها في مقام أخذ الأجرة. وطريق تزكية النفس بالعمل بعكس هذه الحالة، أي نسيان النفس في الحظوظ والأجرة، والتفكر فيها عند الخدمات والموت.

□

ويستلهم الآية الثالثة فيرى أن النفس تنسب الخير إلى ذاتها، مما يسوق لها الفخر والإعجاب، وعلى المرء ألا يرى من نفسه إلا القصور والنقص والعجز والفقر، وأن يرى ما عنده من المحاسن إحسانا من خالقه، ويشكره عليها، فيكون منه الشكر بدل الفخر.

والخطوة الرابعة : تتجلى في «كل شيء هالك إلا وجهه»

فيرى أن النفس حين ترى نفسها حرة تدعي نوعا من الربوبية، وتضمر العصيان تجاه معبدوها، فحين تدرك حقيقتها تعلم أنها: زائلة مفقودة، حادثة معدومة، وأنها بربها وعبوديتها له: شاهدة مشهودة واجدة موجودة.

هكذا تجلى هذا الطريق للأستاذ سعيد النورسي، الذي رآه أقصر الطرق إلى اللّه تعالى وأسلمها لأنه ليست فيه للنفس شطحات.

وزبدة الكلام أن هذا الطريق ينظر إلى الموجودات على أنها مسخرة لله سبحانه لا مسخرة لنفسها وذاتها.

صدر للمؤلف

١. القدس تصرخ (ديوان شعر) دار البيان، الكويت ١٩٦٩م.
٢. قصائد للفجر الآتي (ديوان شعر) مكتبة الأقصى، عمان ١٩٨١ م.
٣. مشاهد من عالم القهر (ديوان شعر) دار البشير، عمان ١٩٨٣ م.
٤. أصداء الغزو المغولي في الشعر العربي/مكتبة الأقصى، عمان ١٩٨٣ م.
٥. الغزو المغولي أحداث وأشعار/دار البشير، عمان ١٩٨٤ م.
٦. الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث/دار البشير، عمان ١٩٨٤ م.
٧. خصائص القصة الإسلامية/دار المنارة جدة، ١٩٨٨
٨. شخصيات قرآنية/دار البشير، عمان ١٩٩٢
٩. من قصص النبي ﷺ /دار البشير، عمان ١٩٩٢
١٠. نظرات إسلامية في الأدب والحياة/المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣ م.
١١. صور ومواقف من حياة الصالحين/دار البشير، عمان ١٩٩٥ م.
١٢. صور ومواقف من حياة الصالحات/دار البشير، عمان ١٩٩٥ م.
١٣. نداء إلى حكماء الأمة/دار الأعلام، عمان ٢٠٠٢ م.
١٤. العلاقات الأسرية، رؤية إسلامية/دار الأعلام، عمان ٢٠٠٢ م.
١٥. فلسطين ميراث الأنبياء/دار الأعلام، عمان ٢٠٠٢ م.
١٦. رسالة إلى الشهداء (ديوان شعر)/ دار الأعلام ٢٠٠٣ م.
١٧. معجم ابن بطوطة في رحلته/دار المأمون، عمان ٢٠٠٥ م.
١٨. محجبات ولكن!/دار المأمون، عمان ٢٠٠٦ م.

١٩. أحاديث الفتن والفقه المطلوب/دار المأمون، عمان ٢٠٠٦ م.
٢٠. أسرار الأذكار/دار المأمون، عمان ٢٠٠٧ م.
٢١. تسبيحات كونية(ديوان شعر)/ دار المأمون، عمان ٢٠٠٨ م.
٢٢. لمسات قدرية في سورة يوسف/دار المأمون، عمان ٢٠٠٩ م.
٢٣. صبوة قلب فجر حياة (شعر وخواطر)/ دار المأمون، عمان ٢٠٠٩ م.
٢٤. المختار من السور والأذكار/دار المأمون، عمان ٢٠٠٩ م.
٢٥. محجبات ولكن / ط٢ دار المأمون، عمان ٢٠٠٩ م.
٢٦. الموت بوابة الخلود / دار المأمون، عمان ٢٠١٠ م.
٢٧. في ظلال رسائل النور/ دار المأمون، عمان ٢٠١٢ م.